

قال عليه الصلاة والسلام ان للاسلام صُوًى « ومنارا » كمنار الطريق

٣٠ جمادى الآخرة سنة ١٣٤٥ﻫ ١٣ برج الجدي سنة ١٣٠٦ﻫش ٤ يناير سنة ١٩٢٧

تفسير القرآن الحكيم

(١٨٧) يَسْئَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ، ثَقُلَتْ فِي السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً. يَسْئَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا، قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ

مناسبة هذه الآية لما قبلها أنها ارشاد الى النظر والتفكر في أمر الساعة التي ينتهي بها أجل جميع الناس، في إثر الارشاد الى النظر والتفكر في اقتراب أجل من كانوا في عصر التنزيل وعهد نزول هذه السورة منهم، وبعبارة أخرى انها كلام في الساعة العامة، بعد الكلام في الساعة الخاصة. قال تعالى:

﴿ يسألونك عن الساعة أيان مرساها ﴾ الساعة في اللغة جزء قليل غير معين من الزمان، وتسمى ساعة زمانية، ومنه قوله تعالى في أوائل هذه السورة (٣٣

لا يستأخرون عنه ساعة) وفي اصطلاح الفلكيين جزء من ٢٤ جزءاً متساوية من اليوم والليلة وهي تنقسم إلى ٦٠ دقيقة والدقيقة إلى ستين ثانية - وقد صار هذا التقسيم عرفا عاما في جميع البلاد الحضرية يضبط بآلة تسمى الساعة وكان معروفا عند العرب وثبت في الحديث « يوم الجمعة اثنتاعشرة ساعة » يعني نهارها.

وفي لسان العرب : الساعة جزء من أجزاء الليل والنهار والجمع ساعات وساع وجاءنا بعد سَوْع من الليل وبعد سُواع . أي بعد هدء منه - أو بعد ساعة. والساعة الوقت الحاضر . وقوله تعالى (ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون) يعني بالساعة الوقت الذي تقوم فيه القيامة فلذلك ترك أن يعرف أي ساعة هي . فإن سميت القيامة ساعة فعلى هذا . والساعة القيامة . وقال الزجاج اسم للوقت الذي تصعق فيه العباد والوقت الذي يبعثون فيه وتقوم فيه القيامة ، سميت ساعة لأنها تفجأ الناس في ساعة فيموت الخلق كلهم عند الصيحة الأولى التي ذكرها الله عز وجل قال (إن كانت إلا صيحة واحدة فإذا هم خامدون)

ثم ذكر أنه تكرر ذكرها في القرآن والحديث وأنها تطلق في الأصل بمعنيين وهما ما ذكرنا أولا من الساعة الزمانية والساعة الفلكية . وقال في المعنى الأول : يقال جلست عندك ساعة من النهار أي وقتاً قليلا منه ثم استعير لاسم يوم القيامة . قال الزجاج : معنى الساعة في كل القرآن الوقت الذي تقوم فيه القيامة - يريد أنها ساعة خفيفة يحدث فيها أمر عظيم ، فلقلة الوقت الذي تقوم فيه سماها ساعة اه

أقول الصواب أنها استعملت في القرآن منكرة بمعنى الساعة الزمانية ومعرفة بالألف واللام العهدية بمعنى الساعة الشرعية، وهي ساعة خراب هذا العالم وموت أهل الأرض، وجمع بينهما في قوله تعالى (٣٠ : ٥٤ و ٥٥ ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون: ما لبثوا غير ساعة) وقيل ان هذا القول هو وجه تسميتها بالساعة

والغالب في استعمال القرآن التعبير بيوم القيامة عن يوم البعث والحشر الذي يكون بعد الموت الذي يكون فيه الحساب وما يتلوه من الجزاء - والتعبير بالساعة عن الوقت الذي يموت فيه الأحياء في هذا العالم ويضطرب نظامه ويخرب بما يكون فيه من الأهوال يتلو بعضها بعضا ، فالساعة هي المبدأ والقيامة هي الغاية ففي الأولى

الموت والهلاك، وفي الآخرة البعث والجزاء . وبعض التعبيرات في كل منها يحتمل حلوله محل الآخر في الغالب، وفي المعنى المشترك الذي يعم المبدأ والغاية. وحمل بعض المفسرين الآيات على القيامة الصغرى لكل فرد وهي ساعة موته ، وزاد بعضهم القيامة الوسطى وهي هلاك الجيل أو القرن، وفسروا به حديث « اذا وسد الامر إلى غير أهله فانتظر الساعة » رواه البخاري من حديث أبي هريرة . وقد يراد بالساعة هنا ساعة زوال الدولة لان هذا من شؤونها واستدلوا عليه بحديث « إذا مات أحدكم فقد قامت قيامته » رواه الديلمي عن أنس مرفوعا . وفي حديث عائشة من صحيح مسلم : كان الاعراب يسألون رسول الله (ص) عن الساعة فنظر الى أحدث انسان منهم فقال « إن يعش هذا لم يدركه الهرم قامت عليكم ساعتكم » ومثله من حديث أنس عنده أيضاً وهو أصح من حديث أبي هريرة لاضافة الساعة اليهم . قال الداوودي هذا الجواب من معاريض الكلام فانه لو قال لهم : لا أدري – ابتداء مع ما هم فيه من الجفاء وقبل تمكن الايمان في قلوبهم لارتابوا فعدل الى اعلامهم بالوقت الذي ينقرضون هم فيه وقال الكرماني ان هذا الجواب من الاسلوب الحكيم ، أي دعوا السؤال عن وقت القيامة الكبرى فانها لا يعلمها الا الله ، واسألوا عن الوقت الذي يقع فيه انقراض عصركم فهو أولى لكم لان معرفتكم تبعثكم على ملازمة العمل الصالح قبل فوته لأن أحدكم لا يدري من الذي يسبق الآخر اه وقال ابن الجوزي كان النبي (ص) يتكلم بأشياء على سبيل القياس وهو دليل معمول به فكأنه لما نزلت عليه الآيات في قرب الساعة كقوله تعالى (أتى أمر الله فلا تستعجلوه) وقوله (وما أمر الساعة الا كلمح البصر أو هو أقرب) حمل ذلك على انها لا تزيد على مضي قرن واحد، ومن ثم قال في الدجال « إن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه » فجوز خروج الدجال في حياته . قال وفيه وجه آخر — وذكر مثل ماتقدم عن الداوودي ورجحه الحافظ في الفتح .

ومما اختلفوا في تفسير الساعة فيه بالوجوه الثلاثة المذكورة قوله تعالى (٦: ٣١ قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله حتى اذا جاءتهم الساعة بغتة قالوا ياحسرتنا على ما فرطنا فيها) وقوله تعالى (٦: ٤٠ قل أرأيتكم إن أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة أغير

الله تدعون إن كنتم صادقين ?) وراجع تفسيرهما في الجزء السابع .

وحيث يذكر قيام الساعة كآيات سورة الروم الثلاث (١٠ و ١٢ و ٥٣) وآية سورة غافر (٤٠: ٤٦ ويوم تقوم الساعة: أدخلوا آل فرعون أشد العذاب) فالمتبادر منه غايتها يوم البعث والحساب والجزاء - وحيث يذكر التكذيب بها أو المماراة فيها فالمراد المعنى العام لكل ما وعد الله به وأوعد من أمر مبدئها وغايتها

وحيث يذكر اقتراب الساعة أو مجيئها وإتيانها ولاسيما اذا قرن ببغتة فالمتبادر منه مبدأ القيامة وخراب العالم الذي نعيش فيه ومن هذا القبيل السؤال عنها فان السؤال يكون عن أول الأمر المنتظر في الغالب ومنه آية الاعراف التي نحن بصدد تفسيرها .

فقوله تعالى ﴿ أيان مرساها ﴾ معناه يسألونك أيها الرسول عن الساعة قائلين أيان مرساها أي متى إرساؤها وحصولها واستقرارها، أو يسألونك عنها من حيث زمن مجيئها وثبوتها بالوقوع والحصول . فأيان ظرف زمان ، ومرساها مصدر معناه إرساؤها يقال رسا الشيء [illegible] ومنه إرساء السفينة وإيقافها بالمرساة التي تلقى في البحر فتمنعها من الجريان قال تعالى (بسم الله مجراها ومرساها) وقال (والجبال أرساها) .

وفي السؤال عن زمن وقوعها بحرف الارساء الدال على استقرار ما شأنه الحركة والجريان أو الميدان والاضطراب نكتة دقيقة هي في أعلى درج البلاغة . وهو أن قيام الساعة عبارة عن انتهاء أمر هذا العالم وانقضاء عمر هذه الارض التي تدور بمن فيها من العوالم المتحركة المضطربة ، فعبر بارسائها عن منتهى أمرها ووقوف سيرها ، والساعة زمن وهو أمر مقدر ، لا جسم سائر أو مسير ، وما يقع فيها ويعبر بها عنه فهو حركة اضطراب وزلزال ، لا رسوّ ولا إرساء ، وهو أمر مستقبل لا حاصل ، ومتوقع لا واقع ، وقوله تعالى (٥٢ : ٦ ان عذاب ربك لواقع ، ماله من دافع) معناه انه سيقع حتما ، ولذلك علق به بيان مايقع فيه بقوله (٨ يوم تمور السماء موراً ٩ وتسير الجبال سيراً ١٠ ويل يومئذ للمكذبين) فلم يبق لارسائها معنى الا ارساء حركة هذا العالم فيها . وانه لتعبير بليغ ، لم يعهد له في كلام

البلغاء نظير ، ولم أر أحدا نبه لهذا . وذكر الساعة أولا والاستفهام عن زمن وقوعها ثانياً على قاعدة تقديم الاهم وهو المقصود بالذات .

قيل ان المراد بالسائلين هنا اليهود سألوه عنها امتحانا قالوا إن كان نبياً فانه لايعين لها زمنا لان الله تعالى لم يطلع على ذلك أحداً من رسله ، وقيل قريش ورجحه أن السورة مكية ولم يكن في مكة أحد من اليهود ، وصيغة يسألونك المتبادر منها الحال لا الاستقبال. وفي آية الأحزاب (٣٣ : ٦٣ يسألك الناس عن الساعة قل إنما علمها عند الله وما يدريك لعل الساعة تكون قريبا) وهذه مدنية .

قال ابن كثير بعد ترجيح كون السائلين من قريش: وكانوا يسألون عن وقت الساعة استبعاداً لوقوعها وتكذيبا بوجودها كما قال تعالى (ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين) وقال تعالى(٤٢ : ١٦ يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها ، والذين آمنوا مشفقون منها ويعلمون أنها الحق ألا إن الذين يمارون في الساعة لفي ضلال بعيد) وقوله (أيان مرساها) قال علي بن طلحة عن ابن عباس : منتهاها . أي متى محطها وأيان آخر مدة الدنيا التي هو أول وقت الساعة اه

(قل إنما علمها عند ربي) قل أيها النذير ان علم الساعة عند ربي وحده ليس عندي ولا عند غيري من الخلق شيء منه ـ وهذا مايدل عليه لفظ « إنما » من الحصر كما قال تعالى في الآية التي فسر بها النبي ﷺ مفاتح الغيب (٣١ : ٣٤ ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الارحام) أي عنده لا عند أحد سواه ـ ومثله قوله تعالى (٤١ : ٤٦ اليه يرد علم الساعة وماتخرج من ثمرات من أكمامها) الآية أي يرد اليه وحده لا الى غيره. وأشبه الآيات الدالة على استئثار علم الله تعالى بالساعة بآية الاعراف آيتان آية الاحزاب (٣٣ : ٦٣) وذكرناها آنفا ـ وآية أواخر النازعات ومابعدها: (٧٩ : ٤٢ يسألونك عن الساعة أيان مرساها ٤٣ فيم أنت من ذكراها ٤٤ الى ربك منتهاها ٤٥ انما أنت منذر من يخشاها ٤٦ كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا الاعشية أوضحاها) أي الى ربك وحده من دونك ودون سائر خلقه منتهى أمر الساعة الذي يسألونك عنه ، وانما أنت منذر لاهل الايمان الذين يخشونها ويستعدون لها لاتعدو وظيفة الانذار والتعليم والارشاد .

فهذه الآيات كآية الاعراف سؤالا وجوابا فالسؤال عن الساعة من حيث ارساؤها ومنتهى أمرها، والجواب رد ذلك الى الرب مضافا الى ضمير رسوله فما أخبره به في قوله (الى ربك منتهاها) هو ما أمره أن يجيب به في قوله (قل انما علمها عند ربي) وفيه ايذان بأن ما هو من شأن الرب، لا يكون للعبد ، فهو تعالى قد رباه ليكون منذراً ومبشراً، لا للاخبار عن الغيوب بأعيانها وأوقاتها، والانذار إنما يناط بالإعلام بالساعة وأهوالها، والنار وسلاسلها وأغلالها ، ولا تتم الفائدة منه الا بابهام وقتها، ليخشى أهل كل زمن اتيانها فيه . والاعلام بوقت اتيانها وتحديد تاريخها ينافي هذه الفائدة بل فيه مفاسد أخرى ، فلو قال الرسول للناس ان الساعة تأتي بعد ألفي سنة من يومنا هذا، مثلا ـ وألفا سنة في تاريخ العالم وآلاف السنين تعد أجلا قريبا ـ لرأى المكذبين يستهزئون بهذا الخبر ويلحون في تكذيبه ، والمرتابين يزدادون ارتيابا ، حتى إذا ما قرب الأجل وقع المؤمنون في رعب عظيم ينغص عليهم حياتهم ، ويوقع الشلل في أعصابهم، والتشنج في أعصابهم، حتى لا يستطيعون عملا، ولا يسيغون طعاما ولا شرابا ، ومنهم من يخرج عن ماله وما يملكه ، من حيث يكون الكافرون آمنين، يسخرون من المؤمنين ، وقد وقع في أوربة أن أخبر بعض رجال الكنيسة الذين كان يقلدهم الجمهور بان القيامة تقوم في سنة كذا فهلعت القلوب واختلت الاعمال، وأهمل أمر العيال، ووقف المصدقون ما يملكون على الكنائس والاديار، ولم تهدأ الانفس ويثوب اليها رشدها الا بعد ظهور كذب النبأ بمجيء أجله دون وقوعه، فالحكمة البالغة اذاً في ابهام أمر الساعة العامة للعالم، وكذا الساعة الخاصة بأفراد الناس، أو بالأمم والاجيال، وجعلها من الغيب الذي استأثر الله تعالى به، على ما سنذكر في إيضاحه ، فلذلك قال بعد حصر أمرها في علمه .

(لا يجليها لوقتها إلا هو) هذا جواب عن طلب معرفة الوقت الذي يكون ارساؤها فيه، يقال جلا لي الامر وانجلى ، وجلاه فلان تجلية بمعنى كشفه وأظهره أتم الاظهار . واللام الداخلة على وقتها تسمى لام التوقيت كقولهم : وكتب هذا الكتاب لغرة المحرم أو لعشر مضين أو بقين من صفر . والمعنى لا يكشف حجاب الخفاء عنها ولا يظهرها في وقتها المحدود عند الرب تعالى إلا هو ، فلا

وساطة بينه وبين عباده في اظهارها ولا الاعلام بميقاتها، وانما وساطة الرسل (عليهم السلام) في الانذار بها

وفق على هذا الايئاس من علم أمرها والانبا بوقت وقوعها بقوله في تعظيم شأنها وسر إخفاء وقتها (ثقلت في السموات والارض) أي ثقل وقعها وعظم أمرها في السموات والارض على أهلها من الملائكة والانس والجن، لأن الله تعالى أنبأهم بأهوالها، ولم يشعرهم بميقاتها، فهم يتوقعون أمراً عظيما لايدرون متى يفجأهم وقوعه.

روي عن قتادة في تفسير الجملة أنه قال: ثقل علمها على أهل السموات والارض أنهم لايعلمون. وقال السدي: خفيت في السموات والارض فلا يعلم قيامها ملك مقرب ولا نبي مرسل. فهذان القولان تفسير لثقلها بفقد العلم بها فان المجهول ثقيل على النفس ولا سيما اذا كان عظيما، وروي عن معمر وابن جريج أن ثقلها يكون يوم مجيئها (اذا الشمس كورت - و - اذا السماء انفطرت، واذا الكواكب انتثرت، - و - اذا رجت الارض رجا، وبست الجبال بسا، فكانت هباء منبثا) وغير ذلك مما وصفه الله تعالى من أشراطها. وعن ابن عباس أن ثقلها أنه ليس شيء من الخلق إلا يصيبه من ضرر يوم القيامة، ولكل رواية وجه صحيح، والمتبادر من الجملة ما ذكرناه أولا وهو يتفق مع جملة هذه الروايات.

(لاتأتيكم إلا بغتة) أي فجأة على حين غفلة، من غير توقع ولا انتظار، ولا اشعار ولا انذار. وقد تكرر هذا القول في التنزيل، وجاء في حديث أبي هريرة من الصحيحين واللفظ للبخاري «ولتقومن الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما بينهما فلا يتبايعانه ولا يطويانه، ولتقومن الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لقحته[1] فلا يطعمه، ولتقومن الساعة وهو يليط حوضه فلا يسقي فيه[2] ولتقومن الساعة وقد رفع أحدكم أكلته إلى فيه فلا يطعمها» والمعنى أنها تبغت الناس وهم منهمكون في أمور معايشهم المعتادة. وأبلغ من هذا قوله تعالى في أول سورة الحج (٢٢: ١ - ياأيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم ٢ يوم

(١) اللقحة الناقة ذات الدر (٢) يليط حوضه بالضم من ألاط: طلا حجارته بالطين أو غيره كالجص ليمسك الماء ويحفظه والثلاثي منه لاطه يلوطه

ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت ، وتضع كل ذات حمل حملها، وترى الناس سكارى وماهم بسكارى ، ولكن عذاب الله شديد)

فيجب على المؤمنين أن يخافوا ذلك اليوم ، وأن يحملهم الخوف على مراقبة الله تعالى في أعمالهم فيلتزموا فيها الحق، ويتحروا الخير ويتقوا الشرور والمعاصي ، ولا يجعلوا حظهم من أمر السعادة الجدال ، والقيل والقال . وانا نرى بعض المتأخرين قد شغلوا المسلمين عن ذلك ببحث افتجره بعض الغلاة وهو أن النبي ﷺ لم يبق طول عمره لايعلم متى تقوم الساعة كما تدل عليه آيات القرآن الكثيرة بل أعلمه الله تعالى به ، بل زعم أنه أعلمه على كل ماهي عليه ، فصار علمه كعلم ربه — أي صار نداً وشريكا لله تعالى في صفة العلم المحيط بالغيوب التي لانهاية لها ، ومن أصول التوحيد انه تعالى لا شريك له في ذاته ولا في صفة من صفاته ، والرسول عبد لله لا يعلم من الغيب إلا ما أوحاه الله تعالى اليه لأداء وظيفة التبليغ. وسنزداد علما ببطلان هذا القول عند تفسير الآية التالية . ولكن الغلاة يرون من التقصير في مدح النبي ﷺ وتعظيمه أن تكون صفاته دون صفات ربه وإلهه وخالق الخلق أجمعين ، فكذبوا كلام الله تعالى وشبهوا به بعض عبيده إرضاء لقلوبهم ، ومثل هذا الغلو لم يعرف عن أحد من سلف هذه الامة ، ولو أراد الله تعالى أن يعلم رسوله ﷺ بوقت قيام الساعة بعد كل ما أنزله عليه في اخفائها واستئثاره بعلمها لما أكده كل هذا التأكيد في هذه السورة وغيرها كقوله عز وجل :

(يسألونك كأنك حفي عنها) الخ . يسألونك هذا السؤال كأنك حفي مبالغ في سؤال ربك عنها — أو يسألونك عنها كأنك حفي بهم — فعنها متعلق بيسألونك وجملة « كأنك حفي » معترضة . قال في مجاز الاساس : أحفى في السؤال : ألحف ... وهو حفي عن الامر : بليغ في السؤال عنه ، (كأنك حفي عنها) وقال الاعشى :

فان تسألي عني فيارب سائل ... حفي عن الاعشى به حيث أصعدا

واستحفيته عن كذا : استخبرته على وجه المبالغة . وتحفى بي فلان ، وحفي بي

حفاوة، اذا تلطف بك وبالغ في اكرامك اهـ. أقول ومنه قوله تعالى حكاية عن خليله ابراهيم عليه وعلى نبينا وآلهما الصلاة والسلام (إنه كان بي حفيا)

وفي تفسير ابن كثير: عن العوفي عن ابن عباس (يسألونك كأنك حفي عنها) يقول: كأن بينك وبينهم مودة كأنك صديق لهم. قال ابن عباس: لما سأل الناس النبي ﷺ عن الساعة سألوه سؤال قوم كأنهم يرون أن محمداً حفي بهم، فأوحى الله اليه انما علمها عنده استأثر به فلم يطلع عليه ملكا مقربا ولا رسولا. وقال قتادة: قالت قريش لمحمد ﷺ إن بيننا وبينك قرابة فأسر الينا متى الساعة؟ فقال الله عز وجل (يسألونك كأنك حفي عنها) وكذا روي عن مجاهد وعكرمة وأبي مالك والسدي. هذا قول والصحيح عن مجاهد من رواية ابن أبي نجيح وغيره (يسألونك كأنك حفي عنها) قال: استحفيت عنها السؤال حتى علمت وقتها. وكذا قال الضحاك عن ابن عباس (يسألونك كأنك حفي عنها) يقول كأنك عالم بها، لست تعلمها، قل انما علمها عند الله. وقال معمر عن بعضهم (كأنك حفي عنها) كأنك عالم بها، وقد أخفى الله علمها على خلقه وقرأ (إن الله عنده علم الساعة) الآية. (قال ابن كثير) وهذا القول أرجح في المقام من الأول والله أعلم. ولهذا قال

﴿قل انما علمها عند الله﴾ هذا تكرار للجواب في إثر تكرار السؤال للمبالغة في التأكيد والايئاس من العلم بوقت مجيئها، وتخطئة من يسألون عنه، وقد ذكر هنا اسم الجلالة للاشعار بأنه مما استأثر بعلمه لذاته، كما أشعر ماقبله بأنه من شؤون ربوبيته، وكل منهما مما يستحيل على خلقه ﴿ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ اختصاص علمها به تعالى ولا حكمة ذلك، ولا أدب السؤال، ولا غير ذلك مما يتعلق بهذا المقام، وانما يعلم ذلك القليلون وهم المؤمنون بما جاء من أخبارها في كتاب الله تعالى وبالسماع من رسوله ﷺ كالذين حضروا تمثل جبريل عليه السلام بصفة رجل وسؤاله للنبي ﷺ عن الايمان والاسلام والاحسان ثم عن الساعة. وقول النبي ﷺ له عند السؤال الاخير «ما المسؤل عنها بأعلم من السائل» يعني انا سواء في هذا الامر لا يعلم أحد منا متى تقوم الساعة

﴿ فصل فيما ورد في قرب الساعة واشراطها وماقيل في عمر الدنيا ﴾

انما ورد في بعض الاحاديث من قرب قيام الساعة حق مقتبس من القرآن كآية الاحزاب التي ذكرت آنفاً ومثلها آية الشورى (٤٢: ١٧ وما يدريك لعل الساعة قريب) وفي معناها قوله تعالى في سياق الرد على منكري البعث والاعادة (١٧: ٥١ ويقولون متى هو ؟ قل عسى أن يكون قريبا) وفي التعبير عن قربه بلعل وعسى مايناسب عدم إطلاع الله رسوله على وقته . ولا شك ان قرب ذلك اليوم الذي مقداره من مبدئه الى غايته خمسون الف سنة مناسب له، ولما تقدم من عمر الدنيا وما بقي منه . فالقرب والبعد من الامور النسبية والمراد قربها بالنسبة إلى مامضى من عمر الدنيا ولا يعلمه إلا الله تعالى

وماجاء في الآثار من أن عمر الدنيا سبعة آلاف سنة مأخوذ من الاسرائيليات التي كان يبثها زنادقة [illegible] موضوعة وقد اغتر بها من لا ينظرون في [illegible] بعضهم منها ما بقي من عمر الدنيا . والجلال السيوطي في هذا رسالة في ذلك قد هدمها عليه الزمان ، كما هدم أمثالها من التخرصات والاوهام ، وما بث في الاسرائيليات من الكيد للاسلام.

قال السيد الآلوسي في إثر تفسير الآية : « وانما أخفى سبحانه أمر الساعة لاقتضاء الحكمة التشريعية ذلك ، فانه أدعى إلى الطاعة ، وأزجر عن المعصية ، كما أن اخفاء الاجل الخاص للانسان كذلك . ولو قيل بأن الحكمة التكوينية تقتضي ذلك أيضاً لم يبعد . وظاهر الآيات [1] أنه عليه الصلاة والسلام لم يعلم وقت قيامها . نعم علم عليه الصلاة والسلام قربها على الاجمال ، وأخبر ﷺ به ، فقد أخرج الترمذي وصححه عن أنس مرفوعا « بعثت أنا والساعة كهاتين » وأشار بالسبابة والوسطى [2] وفي الصحيحين عن ابن عمر مرفوعا أيضاً « انما أجلكم فيمن مضى قبلكم من الامم من صلاة العصر إلى غروب الشمس » وجاء في غير ما أثر أن عمر الدنيا سبعة

---

(١) الصواب ان نصوص الآيات قطعية في ذلك (٢) الحديث رواه الشيخان أيضا وكأنه غفل عنه

آلاف سنة ، وأنه عليه الصلاة والسلام بعث في أواخر الالف السادسة ، ومعظم الملة في الالف السابعة .

« وأخرج الجلال السيوطي عدة أحاديث في أن عمر الدنيا سبعة آلاف سنة وذكر أن مدة هذه الامة تزيد على ألف سنة ولا تبلغ الزيادة خمسمائة سنة ، واستدل على ذلك بأخبار وآثار ذكرها في رسالته المسماة (بالكشف ، عن مجاوزة هذه الأمة الألف) وسمى بعضهم لذلك هذه الالف الثانية بالمخضرمة لان نصفها دنيا ، ونصفها الآخر أخرى ، واذا لم يظهر المهدي على رأس المائة التي نحن فيها يتهدم جميع مابناه فيها كما لايخفى ، وكأني بك تراه منهدما اه

أقول نقلت هذا لأن كثيراً من الناس يرجعون إلى هذا التفسير في مثل هذا البحث فاحببت أن يعرف رأيه في المسألة من لم يطلع عليه ، وقد مضت المائة التي كان فيها مؤلفه برأسها وذنبها وهي المائة [illegible] عشرة من الهجرة ثم مضى زهاء نصف المائة التي بعدها وهي الرابعة عشرة وإذ نكتب هذا البحث في سنة ١٣٤٥ ولم يظهر المهدي [illegible] عنه من الأوهام التي جمعها كحاطب [illegible] أستاذه الاكبر الحافظ ابن حجر في روايتها. ونحن نورد هنا ما كتبه الحافظ في شرحه لحديث « بعثت أنا والساعة كهاتين » من شرحه للبخاري ، ثم نعلق عليه بما يقتضيه المقام

بدأ الحافظ شرحه لمتن الحديث بأقوال محققي العلماء في معنى التشبيه بالاصبعين هل المراد به قرب أحداهما من الاخرى أم التفاوت الذي بينهما في الطول ؟ وما المراد به ؟ والارجح المختار عندنا من هذه الاقوال أنه ليس بينه ﷺ وبين الساعة نبي آخر فهي تليه . ثم قال « ولامعارضة بين هذا وبين قوله تعالى (إن الله عنده علم الساعة) ونحو ذلك لان علم قربها لايستلزم علم وقت مجيئها معيناً ، وقيل معنى الحديث ليس بيني وبين القيامة شيء هي التي تليني كما تلي السبابة الوسطى . وعلى هذا فلا تنافي بين مادل عليه الحديث وبين قوله تعالى عن الساعة (لا يعلمها إلا هو) اه

وأقول إن جملة (لايعلمها إلاهو) قد وردت في قوله تعالى من سورة الانعام (٦: ٥٩ وعنده مفاتيح الغيب لايعلمها إلاهو) لا في الساعة ولكن ورد في الصحيح تفسير

مفاتح الغيب بآية آخر سورة لقمان (٣١ : ٣٤ ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث) الخ فعبارته صحيحة المعنى لا اللفظ ولعله أراد ذلك . ثم قال رحمه الله وأثابه :

« وقال القاضي عياض : حاول بعضهم في تأويله أن نسبة ما بين الأصبعين كنسبة مابقي من الدنيا بالنسبة إلى مامضى وأن جملتها سبعة آلاف سنة واستند الى أخبار لاتصح ، وذكر ماأخرجه أبو داود في تأخير هذه الامة نصف يوم وفسره بخمسمائة سنة ، فيؤخذ من ذلك أن الذي بقي نصف سبع وهو قريب مما بين السبابة والوسطى في الطول (قال) وقد ظهر عدم صحة ذلك لوقوع خلافه ومجاوزة هذا المقدار ، ولو كان هذا ثابتاً لم يقع خلافه

« قلت : قد انضاف إلى ذلك منذ عهد عياض إلى هذا الحين ثلاثمائة سنة[1] وقال ابن العربي[2] قيل الوسطى تزيد على السبابة نصف سبعها وكذا الباقي من الدنيا من البعثة الى قيام الساعة ؛ قال وهذا بعيد ولا يعلم مقدار الدنيا فكيف يتحصل لنا نصف سبع أمد مجهول فالصواب الاعراض عن ذلك

« قلت : السابق الى ذلك أبو جعفر بن جرير الطبري فانه أورد في مقدمة تاريخه عن ابن عباس قال الدنيا جمعة من جمع الآخرة سبعة آلاف سنة وقد مضى ستة آلاف ومائة سنة ، وأورده من طريق يحيي بن يعقوب عن حماد بن أبي سليمان عن سعيد بن جبير عنه ويحيي هو أبو طالب القاضي الانصاري ، قال البخاري منكر الحديث. وشيخه هو فقيه الكوفة وفيه مقال ، ثم أورد الطبري عن كعب الاحبار قال الدنيا ستة آلاف سنة ، وعن وهب بن منبه مثله ، اراد أن الذي مضى منها خمسة آلاف وستمائة سنة ثم زيفهما ورجح ماجاء عن ابن عباس انها سبعة آلاف . ثم أورد حديث ابن عمر الذي في الصحيحين مرفوعا « ماأجلكم في أجل من كان قبلكم إلا من صلاة العصر الى مغرب الشمس » ومن طريق مغيرة بن حكيم عن ابن عمر بلفظ « مابقي لامتي من الدنيا الا كمقدار اذا صليت العصر » ومن طريق

«١» كان عياض في القرن السادس وابن حجر في القرن التاسع وقد تم كتابه فتح الباري سنة ٨٤٢ وكانت وفاة عياض سنة ٥٤٤ ووفاته هو ٨٥٢ رحمهما الله تعالى ورحمنا «٢» هو القاضي أبو بكر المفسر الفقيه المالكي لا ابن عربي الحاتمي الصوفي

مجاهد عن ابن عمر كنا عند النبي ﷺ والشمس على قعيقعان مرتفعة بعد العصر فقال « ما أعماركم في أعمار من مضى الا كما بقي من هذا النهار مما مضى منه » وهو عند أحمد بسند حسن ثم أورد حديث أنس : خطبنا رسول الله ﷺ يوما وقد كادت الشمس تغيب فذكر نحو الحديث الاول عن ابن عمر ومن حديث أبي سعيد بمعناه قال عند غروب الشمس « إن مثل مابقي من الدنيا فيما مضى منها كبقية يومكم هذا فيما مضى منه » وحديث أبي سعيد أخرجه أيضاً وفيه علي بن زيد بن جدعان وهو ضعيف وحديث أنس أخرجه أيضاً وفيه موسى بن خلف[1] ثم جمع بينهما بما حاصله أنه حمل قوله « بعد صلاة العصر » على ما اذا صليت في وسط من وقتها .

« قلت : وهو بعيد من لفظ أنس وأبي سعيد . وحديث ابن عمر صحيح متفق عليه فالصواب الاعتماد عليه وله محملان أحدهما أن المراد بالتشبيه التقريب ولا يراد حقيقة المقدار فبه يجتمع مع حديث أنس وأبي سعيد على تقدير ثبوتهما والثاني أن يحمل على ظاهره فيقدم حديث ابن عمر لصحته ويكون فيه دلالة على أن مدة هذه الامة قدر خمس النهار تقريبا . ثم أيد [illegible] كلامه بحديث الباب وبحديث أبي ثعلبة الذي أخرجه أبو داود وصححه الحاكم ولفظه « والله لا تعجز هذه الامة من نصف يوم » ورواته ثقات ولكن رجح البخاري وقفه . وعند أبي داود أيضا من حديث سعد بن أبي وقاص بلفظ « إني لارجو أن لا تعجز أمتي عند ربهم أن يؤخرهم نصف يوم » قيل لسعد : كم نصف يوم ؟ قال خمسمائة سنة ، ورواته موثقون الا أن فيها انقطاعا ، قال الطبري ونصف اليوم خمسمائة سنة أخذا من قوله تعالى (وإن يوما عند ربك كألف سنة) فاذا انضم الى قول ابن عباس إن الدنيا سبعة آلاف سنة توافقت الاخبار فيكون الماضي الى وقت الحديث المذكور ستة آلاف سنة وخمسمائة سنة تقريبا ، وقد أورد السهيلي كلام الطبري وأيده بما وقع عنده في حديث المستورد وأكده بحديث ابن زمل رفعه « الدنيا سبعة آلاف سنة بعثت في آخرها »

« قلت وهذا الحديث إنما هو عن ابن زمل وسنده ضعيف جداً أخرجه ابن السكن في الصحابة وقال إسناده مجهول وليس بمعروف في الصحابة وابن قتيبة

(1) لم يقل الحافظ فيه شيئا وقد وثقه بعضهم وضعفه ابن معين وقال ابن حبان أكثر من المناكير

في غريب الحديث وذكره في الصحابة أيضا ابن منده وغيره وسماه بعضهم عبد الله وبعضهم الضحاك ، وقد أورده ابن الجوزي في الموضوعات ، وقال ابن الاثير ألفاظه مصنوعة . ثم بين السهيلي أنه ليس في حديث نصف يوم ماينفي الزيادة على الخمسمائة قال وقد جاء بيان ذلك فيما رواه جعفر بن عبد الواحد بلفظ «إن أحسنت أمتي فبقاؤها يوم من أيام الآخرة وذلك ألف سنة وان أساءت فنصف يوم» قال وليس في قوله «بعثت أنا والساعة كهاتين» مايقطع به على صحة التأويل الماضي بل قد قيل في تأويله أنه ليس بينه وبين الساعة نبي مع التقريب لمجيئها ثم جوز أن يكون في عدد الحروف التي في أوائل السور مع حذف المكرر مايوافق حديث ابن زمل وذكر أن عدتها تسعمائة وثلاثة .

« قلت : وهو مبني على طريقة المغاربة في عد الحروف وأما المشارقة فينقص العدد عندهم مائتين وعشرة ، فان السين عند المغاربة بثلثمائة والصاد بستين وأما المشارقة فالسين عندهم ستون والصاد تسعون فيكون المقدار عندهم ستمائة وثلاثة وتسعين وقد مضت وزيادة عليها مائة وخمس [illegible] سنة فالحمل على ذلك من هذه الحيثية باطل ، وقد ثبت عن ابن عباس الزجر عن عد أبي جاد والاشارة إلى أن ذلك من جملة السحر وليس ذلك ببعيد فانه لا أصل له في الشريعة وقد قال القاضي أبو بكر بن العربي وهو من مشايخ السهيلي في فوائد رحلته ما نصه : ومن الباطل الحروف المقطعة في أوائل السور وقد تحصل لي فيها عشرون قولا وأزيد ولا أعرف أحداً يحكم عليها بعلم ، ولا يصل فيها الى فهم، الا أني اقول – فذكر ما ملخصه – انه لولا ان العرب كانوا يعرفون ان لها مدلولا متداولا بينهم لكانوا اول من انكر ذلك على النبي ﷺ بل تلا عليهم (ص وحم فصلت) وغيرهما فلم ينكروا ذلك بل صرحوا بالتسليم له في البلاغة والفصاحة مع تشوفهم الى عثرة ، وحرصهم على زلة ، فدل على انه كان امراً معروفا بينهم لا انكار فيه(*)

(*) نقول لو كان لها مدلولا متداولا لا امرف ونقل ويكفي في سبب سكوت العرب عن انكارها علمهم أنها ذكرت لفائدة كالتنبيه واستصغاء السمع وتوجيه الذهن لما يذكر بعدها كما شرحناه في أول تفسير هذه السورة . وأما عدد أبي جاد فليس بلغوي ولا شرعي بل هو اصطلاح يهودي

« قلت : وأما عد الحروف بخصوصه فانما جاء عن بعض اليهود كما حكاه ابن اسحق في السيرة النبوية عن ابي ياسر بن اخطب وغيره أنهم حملوا الحروف التي في أوائل السور على هذا الحساب واستقصروا المدة أول مانزل « الم والر » فانه نزل بعد ذلك (المص وطسم) وغير ذلك قالوا ألبست علينا الامر . وعلى تقدير أن يكون ذلك مراداً فليحمل على جميع الحروف الواردة ولايحذف المكرر فانه مامن حرف منها الا وله سر يخصه ، أو يقتصر على حذف المكرر من أسماء السور ولو تكررت الحروف فيها فان السور التي ابتدئت بذلك تسع وعشرون سورة وعدد حروف الجميع ثمانية وسبعون حرفا . وهي الم ستة حم ستة الر خمسة طسم اثنان المص المر كهيعص طه طس يس ق ن فاذا حذف ماكرر من السور وهي خمس من : الم وخمس من حم وأربع من [illegible] وواحدة من طسم بقي أربع عشرة سورة عدد حروفها ثمانية وثلاثون حرفا فاذا حسب عددها بالجمل المغربي بلغت ألفين وستمائة و[illegible] وسبعمائة وأربعة وخمسين . ولم أذكر ذلك ليعتمد عليه [illegible] أن الذي جنح اليه السهيلي لاينبغي الاعتماد عليه لشدة التخالف فيه

« وفي الجملة فأقوى مايعتمد في ذلك مادل عليه حديث ابن عمر الذي أشرت اليه قبل ، وقد أخرج معمر في الجامع عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال معمر وبلغني عن عكرمة في قوله تعالى (في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة) قال الدنيا من أولها إلى آخرها يوم مقداره خمسين ألف سنة لايدري كم مضى ولا كم بقي إلا الله تعالى ، وقد حمل بعض شراح المصابيح حديث « لن تعجز هذه الامة أن يؤخرها نصف يوم » على حال يوم القيامة وزيفه الطيبي فأصاب

وأما زيادة جعفر فهي موضوعة لأنها لاتعرف الامن جهته وهو مشهور بوضع الحديث وقد كذبه الائمة مع أنه لم يسق سنده بذلك فالعجب من السهيلي كيف سكت عنه مع معرفته بحاله والله المستعان . أه سياق الحافظ ابن حجر كله

(يقول محمد رشيد) أما زيادة جعفر أي ابن عبد الواحد على حديث ابن زمل في عمر الدنيا فهو ماذكره من حديث اليوم ونصف اليوم في عمر هذه الامة

فهو موضوع جمع السيوطي بينه وبين حديث ابن زمل المجهول الذي حكم ابن الجوزي بوضعه ومزجها بسائر الروايات في المسألة ولا يصح منها شيء . يؤيد مراده فكأن رسالته كلها مستنبطة من الخبرين الموضوعين أي المكذوبين على رسول الله (ص) فتأمل هداك الله تعالى ما يفعل الغرور بظواهر الروايات حتى في أنفس المشتغلين بالحديث كالسيوطي الذي عد من الحفاظ وأنكر ذلك زميله السخاوي وكلاهما من تلاميذ الحافظ ابن حجر

وقد علم مما ذكره الحافظ هنا أن بطلي الاسرائيليات وينبوعي الخرافات كعب الاحبار ووهب بن منبه قد بنا في هذه الامة خرافة تحديد عمر الدنيا وليس أصل من مخترعاتهما فهو موجود في كتب اليهود حتى فيما يسمونه التوراة ولكنه فيها سبعة آلاف الجملة ستة آلاف غشا المسلمين ، ومايدرينا أن كل تلك الروايات أو الموقوفة منها ترجع اليهما ، فان الصحابة (رض) لم يكونوا يذكرون ما يسمع بعضهم من بعض ومن التابعين من الرواية والنقل بل يذكرونه بالمناسبات من غير عزو غالبا ، وكثير من التابعين كذلك بل أكثر ماروي عن أبي هريرة من الاحاديث المرفوعة لم يسمعه منه (ص) ولذلك روي أكثره عنه بالعنعنة أو بقوله قال رسول الله ﷺ وأقله بلفظ سمعت رسول الله ﷺ يقول كذا ، وقد روى عن بعض الصحابة وعن بعض التابعين ، وثبت أنه روى عن كعب الاحبار . ومن هنا نجزم بأن موقوفات الصحابة التي لا مجال فيها للاجتهاد والرأي لا يكون لها قوة المرفوع كما قال المحدثون الا اذا كانت ليست من قبيل الاسرائيليات

وقد تكلم في مسألة قرب الساعة بعد السيوطي العلامة المحدث السيد محمد بن الوزير اليمني المتوفى سنة ١١٨٢ وانتقد السيوطي في تأييده لكلام ابن جرير واستدلاله على ما أحب اثباته بالاحاديث الضعيفة والمنكرة وعدم تعريجه على ماقاله في تضعيفها أستاذه وأستاذ الدنيا في الحديث الحافظ ابن حجر ، ونقله في ذلك ونقل عنه السيد حسن صديق ملك بهوپال من ممالك الهند وصاحب التصانيف الكثيرة في كتابه (الاذاعة لما كان ومايكون بين يدي الساعة) وكان معاصراً للسيد محمود الآلوسي صاحب تفسير (روح المعاني) وقد نقل عن ابن الوزير وعن الحافظ

ابن حجر . وقد لخص ابن الامير[1] كلام ابن جرير وما أورده عليه ابن حجر ، ثم أورد خلاصة كلام السيوطي ورده وذكر أن الحق الواقع بخلافه ـ وهو ما أشار اليه الآلوسي بعده اشارة ـ وهاك ما نقله عنه صاحب الاذاعة السيد أبو الطيب صديق حسن خان المعاصر للآلوسي في هذا عقب ما نقله من تعقيب الحافظ على ابن جرير قال:

(قلت) لما تقارب انخرام القرن التاسع ذكر الحافظ السيوطي أنه وصل اليه رجل في سنة ثمان وتسعين وثمانمائة في شهر ربيع الاول ومعه ورقة حاصل ما فيها الاعتماد على حديث أنه لا يلبث النبي ﷺ في قبره ألف سنة وأنه أفتى بعض العلماء اعتماداً على هذا الحديث بأن في المائة العاشرة خروج المهدي والدجال ونزول عيسى وسائر الآيات من أشراط الساعة ، ثم قال السيوطي : على أن هذا الحديث باطل ، وأطال الكلام في صدر رسالة التي سماها (الكشف في مجاوزة هذه الامة الالف) ثم ذكر أن الذي دلت عليه الآثار أن هذه الامة تزيد مدة بقائها في الدنيا على [illegible] سنة ، ثم اعتمد ما ذكره ابن جرير أن مدة [illegible] من طرق أن مدة الدنيا من لدن آدم عليه السلام [illegible] وأن النبي ﷺ بعث في آخر الالف السادس وساق ما قدمناه من أدلة ابن جرير ، بل قال وصحح ابن جرير هذا الاصل وعقد بابا انتهى

«قال السيد الامير (قلت) وما كان للسيوطي أن يعرض عن تعقبات الحافظ ابن حجر ، بل كان يتعين عليه ذكرها واقرارها أو ردها ، فان تركها يوهم الناظر في كلامه وسكوته على تصحيح ابن جرير ليس كذلك كما عرفت (١)

«ثم استدل السيوطي في جزمه ببقاء الامة بعد الالف أقل من خمسمائة سنة إلى آثار ذكرها منها ما أخرجه ابن أبي شيبة عن ابن عمر رضي الله عنه قال : يبقى الناس بعد طلوع الشمس من مغربها مائة وعشرين سنة ، وإلى أنه يلبث عيسى عليه السلام أربعين سنة بعد قتله الدجال ثم يستخلف رجل من تميم يبقى ثلاث سنين وإلى أنه يبقى الناس بعد ارسال الله ريحا تقبض روح كل مؤمن مائة سنة لا يعرفون

[1] هو محمد بن اسماعيل بن صلاح الامير وذكر في الصفحة السابقة ابن الوزير خطأ

ديناً من الاديان ، وإلى أن بين النفختين أربعين عاما ، وإلى أنه ينزل عيسى على رأس مائة سنة، فهذه مائتسنة وثلاث وستون سنة ، ونحن الآن في القرن الثاني عشر ويضاف اليـه مائتان وثلاث وستون سنة فيكون الجميع ١٤٦٠ ، وعلى قوله إنه لا يبلغ خمسمائة سنة بعد الالف يكون منتهى بقاء الامة بعد الالف ٤٦٣ سنة ويتخرج منـه أن خروج الدجال أعاذنا الله من فتنته قبل انخرام هذه المائة التي نحن فيها وهي المائة الثانية عشرة من الهجرة النبوية . انتهى

قال صاحب الاذاعة : « أقول : وقد مضى الى الآن على الالف نحو من ثلاثمائة سنة ولم يظهر المهدي ولم ينزل عيسى ولم يخرج الدجال فدل على أن هذا الحساب ليس بصحيح

ثم قال السيد العلامة (قلت) وقد أخرج مسلم والحاكم عن ابن عمر مرفوعا « يخرج الدجال فيمكث في أمتي أربعين » أشعر ، هكذا لم يتميز العدد بشيء لا بالايام ، ولا بالشهور ، ولا بالسنين ، أو كانت سنين لكن ظهوره من رأس ستين من هذا القرن ؛ إلا أنه قد ثبت عند أحمد وابن خزيمة وأبي يعلى والحاكم تعيين الاربعين بليلة يعني أربعين يوما وقال « يوم منها كالسنة ، ويوم كالشهر ، ويوم كالجمعة ، وسائر أيامه كأيامكم » وعلى هذا يكون خروجه في سنة تسع وتسعين من هذا القرن الذي نحن فيه ، وإنما قلنا ذلك ليتم نزول عيسى في رأسها ويبقى عيسى من القرن الثالث عشر أربعين سنة وخليفته ثلاث سنين ، ثم تطلع الشمس من مغربها ويبقى الناس مائة وعشرين بعد طلوعها ، ويحتمل أن المائة التي يبقى الناس فيها لا يعرفون دينا هي من هذه المائة والعشرين . هذا خلاصة كلام السيوطي في رسالة الكشف وفيه ماعرفت ، واستدل على ماذكره بآثار عن السلف كأنه يقول انها لا تقال من قبل الرأي فلها حكم الرفع

(ثم قال) « واذا أحطت علماً بجميع ماسقناه علمت بأن القول بتعيين مدة الدنيا من أولها إلى آخرها بأنه سبعة آلاف سنة لم يثبت فيه نص يعتمد عليه وغاية مافيـه آثار عن السلف وإن كانت لا تقال إلا عن توقيف فلعلها مأخوذة عن أهل الكتاب وفي أسانيدها مقال وقد علم تغييرهم لما لديهم عن الله تعالى وعن رسوله وأهـل

الكتاب هم القائلون (لن تمسنا النار إلا أياما معدودة) ونقل عنهم المفسرون أنهم قالوا إن مدة الدنيا سبعة آلاف سنة ، وأنهم يعذبون بكل ألف عام يوماً من الايام ، فانه أخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني والواحدي عن ابن عباس أن يهوداً كانوا يقولون مدة الدنيا سبعة آلاف سنة ، وانما نعذب بكل ألف من أيام الدنيا يوماً واحداً في النار ، وانما هي سبعة أيام ثم ينقطع العذاب فأنزل الله تعالى (وقالوا لن تمسنا النار إلا أياما معدودة — إلى قوله تعالى — هم فيها خالدون) انتهى وأكذبهم الله فيما قالوه

« ولعل هذا الذي نقله عن السلف من الآثار التي سقناها وساقها ابن جرير والسيوطي في رسالة الكشف مأخوذة من أهل الكتاب إذ لم يثبت بنص نبوي عنه ﷺ بأن مدة الدنيا كذا على أن تلك الآثار القاضية بأن مدتها سبعة آلاف سنة معارضة لما أخرجه عبد الرزاق وعبد بن حميد عن مجاهد وعكرمة في قوله تعالى (في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة) قال هي الدنيا أولها إلى آخرها يوم مقداره خمسون ألف سنة يوم القيامة انتهى . فهذه الآثار متعارضة كما ترى ، وانما ثبت عنه ﷺ أن بعثته من آي قيام الساعة انتهى كلام السيد العلامة محمد بن اسماعيل الامير رحمه الله

(قال صاحب الاذاعة) «وقد قال الشيخ مرعي في بهجة الناظرين بعد ذكر قول السيوطي في رسالة الكشف ما نصه : وهذا مردود لان كل من تكلم بشيء من ذلك فهو ظن وحسبان لا يقوم عليه برهان انتهى .

«وقال في الاشاعة[1] بعد ذكر قول السيوطي : الذي فهم من الاحاديث أن المهدي يمكث في الارض أربعين سنة وأن عيسى يمكث بعد الدجال أربعين سنة كما رواه الحاكم عن ابن مسعود فانه ظاهر في الاربعين بعد الدجال وان بعد عيسى يتولى أمراء منهم القحطاني يتولى احدى وعشرين سنة وليفرض لبقيتهم الى طلوع الشمس من المغرب عشرون سنة ايضا ان لم يكن اكثر فهذه مائة وعشرون سنة ومر ان الدجال يمكث اربعين فان لم تكن سنين فلا اقل من مقدار سنتين لان أيامه طوال ، وان بعد طلوع الشمس من مغربها يمكث الناس مائة وعشرين سنة

(١) صاحب الاشاعة السيد محمد البرزنجي المدني

وفي رواية أن الشرار بعد الخيار عشرون ومائة سنة وورد أيضا ان المؤمنين يتمتعون بعد طلوعها اربعين سنة ثم يسرع فيهم الموت فهذه ثلثمائة وعشرون سنة وقد مضى بعد الالف قريب من ثمانين ، فهذه اربعمائة والى تمام هذه المائة تبلغ اربعمائة وثلاثين . وقدمر عن السيوطي انها لا تبلغ خمسمائة بل أخذ بعضهم من قوله تعالى (فهل ينظرون إلا الساعة ان تأتيهم بغتة) وقوله (لا تأتيكم الا بغتة) ان الساعة تقوم سنة ١٤٠٧ فان عدد حروف بغتة ١٤٠٧ والعلم عند الله ، فيحتمل خروج المهدي على رأس هذه المائة ويحتمل ان يتأخر للمائة الثانية ، ولا يفوتها قطعا ، واذا تأخر فلا بد ان يبعث الله على راس هذه المائة من يجدد للامة أمر دينها كما ورد في حديث مشهور . وهذه كلها مظنونات وردبها آحاد الاخبار بعضها صحاح وبعضها حسان وبعضها ضعاف منجبر بشواهد وبعضها [illegible] شواهد ، وغاية ماثبت بالاخبار الصحيحة الكثيرة الشهيرة التي بلغت التواتر المعنوي وجود الآيات العظام التي أولها خروج المهدي وأنه يأتي آخر الزمان [illegible] الارض عدلا كما ملئت جوراً وأنه يقاتل الروم في الملحمة ويفتح القسطنطينية ويخرج الدجال في زمنه وينزل عيسى ويصلي خلفه ، وما سوى ذلك كله أمور مظنونة أو مشكوكة والله أعلم انتهى

(أقول) فتحقق من هذه النقول أنه ليس في عمر الدنيا حديث مرفوع صحيح ولا حسن وأن الروايات فيه إما ضعيفة وإما موضوعة ، وأن الراجح أن كل ماورد فيها من مرفوع وموقوف ومن الآثار فهو من الاسرائيليات التي بثها في الامة كعب الاحبار ووهب بن منبه وأمثالهما ، ولو فطن الحافظ ابن حجر لدسائسهما وخطأ من عدلهما من رجال الجرح والتعديل لخفاء تلبيسهما عليهم لكان تحقيقه لهذا البحث أتم وأكمل

وقد أشار الى ذلك حكيم الاسلام الاجتماعي ابن خلدون في مقدمته عند الكلام في ابتداء الدول والامم وما بقي من الدنيا قال « فكان المعتمد في ذلك في صدر الاسلام آثار منقولة عن الصحابة وخصوصاً مسلمة بني اسرائيل مثل كعب الاحبار ووهب بن منبه وأمثالهما . وربما اقتبسوا بعض ذلك من ظواهر مأثورة وتأويلات محتملة » ثم ذكر مباحث السهيلي في كلام الطبري وغير ذلك مما يغني عنه ماتقدم وذكر أيضاً كلام الصوفية في ذلك وظهور كذب الجميع

وكذلك الامام أبو محمد علي بن حزم (المتوفى سنة ٤٥٦) لم يعبأ بشيء من هذه الروايات في هذه المسألة على طول باعه وسعة حفظه للآثار وقد سبق القاضي عياضاً والقاضي أبا بكر ابن العربي وابن خلدون في رفضه لما قيل في عمر الدنيا وعجبت كيف غفل الحافظ عن إيراد ماقاله في هذه المسألة على سعة اطلاعه . قال بعد ذكر ماكان يقول اليهود والنصارى في بدء الخليقة مانصه

« وأما نحن — يعني المسلمين — فلا نقطع على علم عدد معروف عندنا ، ومن ادعى في ذلك سبعة آلاف سنة أو أكثر أو أقل فقد قال مالم يأت قط عن رسول الله (ص) فيه لفظة تصح ، بل صح عنه (ص) خلافه ، بل نقطع على أن للدنيا أمداً لايعلمه إلا الله تعالى . قال الله سبحانه (ما أشهدتهم خلق السموات والارض ولا خلق أنفسهم) وقال رسول الله (ص) « ما أنتم في الامم قبلكم إلا كالشعرة البيضاء في الثور الاسود ، أو الشعرة السوداء في الثور الابيض » وهذه نسبة من تدبرها وعرف مقدار عدد أهل الاسلام ونسبة ما بأيديهم من معمور الارض وأنه الاكثر — علم أن للدنيا أمداً لا يعلمه إلا الله ، وكذلك قوله عليه السلام « بعثت أنا والساعة كهاتين » وضم إصبعيه المقدستين السبابة والوسطى ، وقد جاء النص بأن الساعة لايعلم متى تكون إلا الله تعالى لا لأحد سواه — فصح أنه (ص) انما عنى شدة القرب لافضل الوسطى على السبابة إذ لو أراد ذلك لأخذت نسبة مابين الاصبعين ونسب من طول الاصبع — فكان يعلم بذلك متى تقوم الساعة وهذا باطل ، وأيضاً فكان تكون نسبته (ص) إيانا إلى من قبلنا بأننا كالشعرة في الثور كذبا ، ومعاذ الله من ذلك فصح أنه (ص) انما أراد شدة القرب . وله ﷺ منذ بعث أربعمائة عام ونيف ، والله تعالى أعلم بما بقي للدنيا ، فاذا كان هذا العدد العظيم لانسبة له عند ماسلف لقلته وتفاهته بالاضافة إلى ما مضى فهو الذي قاله (ص) من أننا فيمن مضى كالشعرة في الثور أو الرقمة في ذراع الحمار اه كلام ابن حزم

وأقول هذا كلام الائمة المحققين فالذين حاولوا تحديد عمر الدنيا ومعرفة وقت قيام الساعة ارضاء لشهوة الاتيان بما بهم جميع الناس لم يشعروا بأنهم يحاولون تكذيب آيات القرآن الكثيرة الناطقة بأن الساعة من علم الغيب الذي استأثر الله

أشراط الساعة وأمارتها

إن للساعة أشراطا ثبتت في الكتاب والسنة قال تعالى (٤٧ : ٢٠ فهل ينظرون الا الساعة أن تأتيهم بغتة فقد جاء أشراطها ؟ فأنّى لهم اذا جاءتهم ذكراهم) الأشراط جمع شرط بفتحتين كأسباب جمع سبب وهي العلامات والامارات الدالة على قربها وأعظمها بعثة خاتم النبيين ، بآخر هداية الوحي الآلهي للناس أجمعين ، لأن بعثته ﷺ قد كمل بها الدين ، كما قال تعالى (اليوم أكملت لكم دينكم) وبكماله تكمل الحياة البشرية الروحية ، ويتلوها كمال الحياة البشرية المادية ، وما بعد الكمال الا الزوال ، لان البقاء في هذا العالم محال ، وقد ورد أن نبينا ﷺ نبي الساعة وتقدم حديث الصحيحين « بعثت والساعة كهاتين » وقد وردت أحاديث أخرى في أشراط الساعة يدل بعضها على أن الشهوات المادية تتنازع مع الهداية الروحية، فيكون لها التغلب زمنا بعد نصر الهداية الروحية زمنا قصيراً ، ثم يغلب الضلال والشر والفجور والكفر حتى تقوم الساعة على شرار الخلق ، ولكن في هذه الاحاديث اختلافا وتعارضا وما ينافي حكمة الله تعالى في اخفائها وعدم اطلاع الخلق على وقتها وبعضها ظاهر في قرب قيام ساعة دولة العرب أو دولة الاسلام

ومن الاحاديث الصحيحة الواردة في إقبال الدنيا وسعتها من أمارات الساعة حديث جبريل الذي رواه مسلم في صحيحه عن عمر بن الخطاب (رض) وفيه أن جبريل عليه السلام لما جاء في صفة رجل غريب وسأل النبي ﷺ عن الاسلام والايمان والاحسان ليعلم الصحابة (رض) كيف يسألون عن دينهم ـ سأله عن الساعة قال فأخبرني عن الساعة ؟ قال ﷺ « ما المسئول عنها بأعلم من السائل » قال فأخبرني عن أمارتها قال « أن تلد الامة ربتها ، وان ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان » وروى هذا السؤال وحده ابن أبي شيبة والبخاري ومسلم وغيرهم من حديث أبي هريرة قال : كان النبي ﷺ يوما بارزا للناس فأتاه رجل فقال يارسول الله متى الساعة ؟ فقال « ما المسئول عنها بأعلم من السائل ولكن سأحدثك عن أشراطها : اذا ولدت الأمة ربتها فذاك من أشراطها ، واذا كانت

الحفاة العراة رعاء الشاء رءوس الناس فذلك من أشراطها ، وإذا تطاول رعاء الغنم في البنيان فذلك من أشراطها» قيل معنى ولادة الامة ربتها كثرة السراري وأولاد السبايا وكان لهذا طور عظيم في الفتوحات الاسلامية ـ وقيل معناه أن الملوك والامراء يكونون من أولاد السراري لا من أولاد بنات البيوتات العريقة في حسن التربية وعلو الاخلاق ، والمراد بصيرورة رعاء (بالهمزة) أي رعاة الغنم وأهل البداوة من أصحاب الثروة والبذخ والقصور العالية أن يكون من هذه الطبقة رؤساء الناس كما في حديث أبي هريرة وهذا قد ظهر أيضاً في أمتنا وفي غيرها من الامم ، وصار بعض نسود هذه الطبقة وأمثالهم في هذا العصر معدوداً في مناقبه بعد فساد تربية كثير من أسر الاشراف والنبلاء ، واستعلائهم على الناس بالباطل ، وكان هذا من أمارات زوال الدولة فهو يظهر في علامات الساعة الخاصة لا العامة

وأجمع الاحاديث الصحيحة السند فيما يكون قبل الساعة ما رواه البخاري من حديث أبي هريرة [illegible] في أحاديث أخرى مفصلة وهذا نصه عن أبي هريرة مرفوعا (*)

« لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان تكون بينهما مقتلة عظيمة دعوتها واحدة [1] وحتى يبعث دجالون كذابون قريب من ثلاثين كلهم يزعم أنه رسول

---

*) في هذا الحديث أحد عشر شرطا أوردها البيهقي في البعث في سبعة أحاديث أدمج في الثالث منها قبض العلم وكثرة الزلازل وتقارب الزمان وكثرة الهرج فأول كل حديث منها « لا تقوم الساعة حتى » يكون كذا ـ فاذا عددت « حتى » في هذا الحديث وجدتها سبعا ـ ولذلك قال : اخرج البخاري هذه الاحاديث السبعة عن أبي اليمان عن شعيب الخ واستشكل الحافظ في الفتح عدها سبعا ذهولا منه عن إدماج 4 اشراط في حديث واحد . ومعنى كلام البيهقي ان ماهنا سبعة أحاديث متفرقة جمعها البخاري في واحد

(١) المراد بالفئتين فئة علي الامام الحق وفئة معاوية الباغية ـ وهذا أول اشراط قيام ساعة الدولة العربية او الاسلامية المقيدة بالشورى ونصوص الكتاب والسنة

الله [٢] وحتى يقبض العلم [٣] وتكثر الزلازل [٤] ويتقارب الزمان [٥] وتظهر

(٢) من هؤلاء الدجالين في المتأخرين الباب والبهاء الايرانيان - على أن الثاني ادعى الالوهية - ومسيح الهند القادياني الدجال واتباعه لا يزالون يدعون النبوة . وفي حديث ثوبان الجزم بعدد الثلاثين مع زيادة « وأنا خاتم النبيين لا نبي بعدي » قال الحافظ اخرجه ابو داود والترمذي وصححه ابن حبان وهو طرف من حديث اخرجه مسلم ولم يسق جميعه . وذكر روايات اخرى منها حديث عبدالله بن عمرو عند احمد وابي يعلى وفيه زيادة: قلت ما آيتهم قال « يأتونكم بسنة لم تكونوا عليها يغيرون بها سنتكم فاذا رأيتموهم فاجتنبوهم »

(٣) حديث قبض العلم مفصل في حديث عبدالله بن عمرو في الصحيحين مرفوعا « ان الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من العباد ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى اذا لم يبق عالم - وفي رواية لم يبق عالما - اتخذ الناس رءوسا جهالا فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا واضلوا » والمراد علم الدين والهداية لا علوم الدنيا والغواية .

(٤) في حديث [illegible] عند احمد « [illegible] الساعة سنوات الزلازل » فيظهر منه انها تكون قبل الساعة [illegible] في كل زمان ، والا فهي دائما كثيرة في جوف الارض [illegible] تقدم الصاخة التي هي الطامة الكبرى . اقرأ (٢٢ : ١ إن زلزلة الساعة شيء عظيم) الخ و (٩٩ : ١ اذا زلزلت الارض زلزالها) الخ

(٥) ذكر تقارب الزمان واقترابه في عدة أحاديث في الصحاح وغيرها مجملا وأخرج الترمذي من حديث أنس وأحمد من حديث أبي هريرة مرفوعاً « لا تقوم الساعة حتى يتقارب الزمان فتكون السنة كشهر والشهر كالجمعة والجمعة كاليوم واليوم كاحتراق السعفة » وقد اختلفوا في معنى ذلك هل هو حسي أو معنوي ؟ وهل المراد الزمان نفسه أو أهله ؟ فقيل إن المراد به استلذاذ العيش ووفرة النعم حتى لا يشعر الناس بالزمان كما قال الشاعر * وعمر السرور ممكم بعض يوم * وقيل المراد به نزع البركة منه وقيل تقارب أهله في قلة الدين الخ ماقالوا ، ويرى بعض أهل هذا الزمان ان المراد قد يكون ماهو حاصل من تقارب المواصلات وقطع المسافات البعيدة في الزمن القصير برا وبحرا وجوا . وهذا أظهر من كل ماقالوه

الفتن (٦) ويكثر الهرج وهو القتل (٧) وحتى يكثر فيكم المال فيفيض حتى يُهِم

وأليق بكونه إخباراً عن غيب لا مجال للرأي فيه ولا يعرف الا بوحي من الله تعالى وما قالوه يختلف باختلاف الناس في كل زمان ، فترى مثل القاضي عياض والنووي يرجحان ان معنى الحديث نزع البركة من الزمان ويوافقهما على ذلك الحافظ ابن حجر فيقولون ان الانتفاع باليوم قد صار بمقدار الانتفاع بالساعة . وهو وهم ظاهر ، ونحن نقول ان بعض ما يعمل الآن في ساعة واحدة لم يكن يتمكن عمله في يوم وما يعمل في يوم واحد كان يحتاج فيه الى اسبوع اخ ولو كانت البواخر والقطارات الحديدية والطيارات في عصر الذين كانوا يرحلون من قطر الى قطر لتلقي الحديث لتيسر لمثل البخاري أن يتلقى في سنة واحدة ماتلقاه في سنين أو عمره كله

(٦-٧) ظهور الفتن وكثرة القتل قد وقع في كل عصر في البلاد الاسلامية وغيرها ، فلا يمكن عدها من العلامات التي تكون بين يدي الساعة الا ان اريد بها ساعة ملك الامة العربية او الاسلامية فالامر حينئذ يكون ظاهرا ويكون المراد به ما فصل في أحاديث أخرى كاعداء الترك وقتال العرب وسلبهم ملكهم واخراجهم من عراقهم وفي ذلك عدة أحاديث في الصحاح والسنن والمسانيد ومن أصرحها حديث معاوية عند ابن أبي شيبة مرفوعا «لن تبرح الترك تغلب العرب حتى تلحقها بمنابت الشيح » يعني بوادي جزيرة العرب – وحديث «أن بني قنطوراء أول من يسلب امتي ملكهم» رواه الطبراني عنه أيضا قال الحافظ : وكأنه يريد بقوله امتي أمة النسب لا أمة الدعوة — يعني العرب والله أعلم اه وورد ان من اشراط الساعة فتح القسطنطينية وهو في الصحاح قال شيخ شيوخنا العلامة الشيخ محمود نشابه معناه إن العرب يفتحونها من أشقياء الترك ولم يكن الشيخ من أهل السياسة ولا كان في زمنه شيء من التعادي بينهم وبين العرب ، دع مافعلته الحكومة التركية في هذا الزمان ، من ترك شريعة الاسلام ، وكان مسلمو الترك يحملون الاحاديث على فتح السلطان محمد لها ولكنها صريحة في أن فتحها يتلوه في عهده ظهور الدجال

واذا حمل الهرج وكثرة القتل على ماحدث في هذا الزمان من الفتن ومن كثرة القتل بما استحدث من آلات الحرب النارية بحيث يقتل في يوم واحد مالم يكن يمكن حدوثه في سنة أو سنين قبلها لكان ابلغ في الاخبار بالغيب فقد هلك في الحرب الاوربية الاخيرة زهاء عشرة آلاف الف (١٠ ملايين) في أربع سنين ولم يقع مثل ذلك في عدة قرون قبل هذه الآلات الحديثة

رب المال من يقبل صدقته[٨] وحتى يتطاول الناس في البنيان[٩] وحتى يمر الرجل بقبر الرجل فيقول: ياليتني مكانه[١٠] وحتى تطلع الشمس من مغربها فاذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعون فذلك حين (لاينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في ايمانها خيراً)[١١] ولتقومن الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما بينهما فلا يتبايعانه ولا يطويانه، ولتقومن الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لقحته فلا يطعمه، ولتقومن الساعة وهو يليط حوضه فلا يسقي فيه، ولتقومن الساعة وقد رفع أكلته الى فيه فلا يطعمها » وتقدم تفسير هذه الجمل الاخيرة

وفي الاحاديث اشراط وأمارات أخرى بعضها صار عاديا وبعضها غريب ويقول علماؤنا ان منه ما وقع، وباقيه يتوقع، وفيها تعارض وتناقض ومشكلات حار العلماء في الجمع بينها واني أتكلم عنه كلاماً إجمالياً عاما، وأبسط الكلام في أهمها بسطا خاصا، ولاسيا أحاديث الدجال والمهدي، فألق له السمع ووجه اليه النظر، فهو يجلي العبرة لمن اعتبر. (التفسير بقية)

---

(٨) كثرة المال فسرت بما حدث للمسلمين من الثروة في الفتوحات من عهد الصحابة ويصح تخصيص كثرته بهم إذا كان المراد بالساعة ساعتهم فان كثرة المال كانت سبباً للترف الذى كان سبباً لزوال ملكهم كغيرهم. وإذا أريد بالساعة العامة فيمكن أن يكون المراد ما نرى مقدماته من كثرة الثروة العامة في العالم

(٩) التطاول في البنيان تقدم ذكره في حديث جبريل وهو مما حصل منذ قرون كثيرة ويقال فيه ماقلناه فيما قبله، وقد وصل التطاول فيه الآن الى ان صارت المباني تناطح السحاب، ولا يمكن الصعود اليها إلا بالمعارج والمصاعد الكهربائية فاذا كانت في مصر لاتزيد على بضع طبقات في اميركا قد صار البناء الواحد مؤلفا من عشرات من الطبقات فهذا هو التطاول الذى لم يعهد له نظير من قبل

(١٠) تمني الموت حصل ويحصل في أوقات الضيق والبلاء من كل زمان ولا يكون من اشراط الساعة العامة الا إذا صار عاما فهو بهذا المعنى من الاشراط المستقبلة

(١١) طلوع الشمس من مغربها هو أعظم الاشراط الكبرى بين يدى الساعة وقد تقدم تفصيل القول فيه في تفسير الآية ١٥٩ من اواخر سورة الانعام فيراجع

فتاوى المنار

﴿ أسئلة عن الابدال والاوتاد والقطب الغوث ﴾

(س ١٦ – ٢١) من صاحب الامضاء

(١) الابدال في هذه الامة ثلاثون رجلا قلوبهم على قلب ابراهيم خليل الرحمن كلما مات رجل أبدل الله مكانه رجلا (حم عن عبادة بن الصامت) باسناد صحيح

(٢) الابدال في أمتي ثلاثون بهم تقوم الارض وبهم تمطرون، وبهم تنصرون (طب عنه) أي عن عبادة باسناد صحيح

(٣) الابدال في أهل الشام بهم ينصرون وبهم يرزقون (طب عن عوف بن مالك واسناده حسن)

(٤) الابدال بالشام وهم أربعون رجلا كلما مات رجل أبدل الله مكانه رجلا يسقى بهم الغيث ، وينتصر بهم على الاعداء ، ويصرف عن أهل الشام بهم العذاب (حم عن علي) باسناد حسن

(٥) الابدال أربعون رجلا وأربعون امرأة كلما مات رجل أبدل الله مكانه رجلا ، وكلما ماتت امرأة أبدل الله مكانها امرأة (الخلال) في كتاب كرامات الاولياء (فر) عن أنس بن مالك وهو حديث ضعيف

(٦) الابدال من الموالي (الحاكم في الكنى والألقاب عن عطاء بن رباح مرسلا وهو حديث منكر)

إلى حضرة صاحب الفضيلة صاحب المنار

هذه الاحاديث الستة وجدت بالجامع الصغير بصحيفة ١١٥ و١١٦ من الجزء الثاني [1] وفي كتب الوهابيين مايفيد الجزم بعدم وجود شيء من ذلك مع زيادة

---

(١) لايمكن أن تكون في الجزء الثاني الا أن يكون من أحد الشروح وهي في ١٠٢ من الجزء الاول من طبعة المطبعة الخيرية للمتن

الانكار على من قال : الابدال والاقطاب والاوتاد وقطب الغوث ، فنرجو الافادة عن هذه الاحاديث هل هي صحيحة يعتمد عليها وإن لم تكن في كتب الاحاديث المعول عليها ؟ ويكون كلام الوهابيين في غير محله ونرده عليهم ؟ أو أن هذه الاحاديث لم يعرف لها سند ولا ذكرها المحدثون فتكون في حيز الاهمال لاتصح دليلا وكلام الوهابيين في محله ؟ وإذا كانت هذه الاحاديث صحيحة فنؤمل شرح معنى الابدال وما وظيفتهم ؟ وما معنى اختصاص الشام بهم ؟ وما معنى رفع العذاب عن أهل الشام ونصرهم ورزقهم بالابدال ؟ وهل أهل الشام يرزقون وينصرون ويرفع عنهم العذاب دون غيرهم من أهل الارض ؟ نرجو الافادة عن ذلك بالقول الصحيح مع الدليل من الكتاب والسنة والسلف الصالح ونؤمل سرعة الافادة حيث النزاع بلغ النهاية جعلكم الله ملجأ للقاصدين

احمد أبو زينة بالقطوري

(ج — المنار) إن أحاديث [illegible] رواية ودراية ، سنداً ومتناً ، وإنما راجت في الامة بعناية المتصوفة وقد ذكرها الحافظ ابن الجوزي في الموضوعات وطعن فيها واحداً بعد واحد وتعقبه السيوطي الذي جعلها في الجامع الصغير على أقسام : صحيح وحسن وضعيف ومنكر ، بل جوز أن تكون متواترة . والحق أنه لا يصح منها شيء ، وأما الحسن فإنما جاء على قاعدتهم فيما تعددت طرقه ، وهو مقيد بما كان التعدد فيه من طرق متفرقة ليس لها جهة واحدة تصدر عنها . وأما ما كان له مصدر واحد فكثرة الطرق لاتزيده إلا ضعفاً لأنها دليل على كونه مصنوعا من دعاة هذا المصدر كدعاة الشيع السياسية والدينية ومنها الصوفية ، حتى إن فقهاء المذاهب وضعوا أحاديث في تفضيل أئمتهم والطعن في غيرهم وقد بينا في تفسير آية الساعة التي فسرناها في هذا الجزء أن أحاديث المهدي كلها لها مصدر سياسي واحد من الشيعة وله ينبوعين أحدهما علوي والآخر عباسي ، ولكننا أخرنا هذا البحث إلى الجزء التالي من المنار (وهو ج ١ م ٢٨) لأن التفسير قد طال حتى كاد يكون نصف هذا الجزء .

وأحاديث الابدال اشترك فيها المتصوفة والشيعة والباطنية ورواة الاسرائيليات ككعب الاحبار وغيره من اصحاب الترّهات الصحاصح ، دون أهل الاحاديث

الصحائح ، فنحن نبين هذا الاصل ثم نرجع إلى كلام المحدثين في أسانيد أخبار الابدال والمعقول في متونها فنقول

قال حكيمنا المحقق ابن خلدون في سياق كلامه في علم التصوف من مقدمة تاريخه بعد أن بين منشأ التصوف وحال أهله في علمهم وعملهم ما نصه :

« ثم إن هؤلاء المتأخرين من المتصوفة المتكلمين في الكشف وفيما وراء الحس توغلوا في ذلك فذهب الكثير منهم إلى الحلول والوحدة كما أشرنا اليه ، وملؤا الصحف منه مثل الهروي في كتاب المقامات له وغيره وتبعهم ابن العربي وابن سبعين وتلميذهما ابن العفيف وابن الفارض والنجم الاسرائيلي في قصائدهم ، وكان سلفهم مخالطين للاسماعيلية المتأخرين من الرافضة الدائنين أيضاً بالحلول وإلهية الائمة مذهبا لم يعرف لأولهم فأشرب كل واحد من الفريقين مذهب الآخر ، واختلط كلامهم ، وتشابهت عقائدهم ، وظهر في كلام المتصوفة القول بالقطب ومعناه رأس العارفين يزعمون أنه لا يمكن أن يساويه أحد في مقامه في المعرفة حتى يقبضه الله ، ثم يورث مقامه لآخر من أهل العرفان ، وقد أشار إلى ذلك ابن سينا في كتاب الاشارات في فصول التصوف منها ، فقال : جل جناب الحق أن يكون شرعة لكل وارد ، أو يطلع عليه الا الواحد بعد الواحد ، اه وهذا كلام لا تقوم عليه حجة عقلية ولا دليل شرعي ، وانما هو من أنواع الخطابة وهو بعينه ما تقوله الرافضة ودانوا به

« ثم قالوا بترتيب وجود الابدال بعد هذا القطب كما قاله الشيعة في النقباء حتى إنهم لما أسندوا لباس خرقة التصوف ليجعلوه أصلا لطريقتهم وتخليهم رفعوه إلى علي رضي الله عنه ، وهو من هذا المعنى أيضاً ، وإلا فعلي رضي الله عنه لم يختص من بين الصحابة بتخلية ولا طريقة في لباس ولا حال ، بل كان أبو بكر وعمر رضي الله عنهما أزهد الناس بعد رسول الله ﷺ وأكثرهم عبادة ، ولم يختص أحد منهم في الدين بشيء يؤثر عنه في الخصوص ، بل كان الصحابة كلهم أسوة في الدين والزهد والمجاهدة

« يشهد لذلك من كلام هؤلاء المتصوفة في أمر الفاطمي وما شحنوا كتبهم في ذلك مما ليس لسلف المتصوفة فيه كلام بنفي أو إثبات ، وانما هو مأخوذ من كلام الشيعة

والرافضة ومذاهبهم في كتبهم والله يهدي إلى الحق ، ثم إن كثيراً من الفقهاء وأهل الفتيا انتدبوا للرد على هؤلاء المتأخرين في هذه المقالات وأمثالها وشملوا بالنكير سائر ماوقع لهم في الطريقة والحق أن كلامهم معهم فيه تفصيل اه المراد منه

وأما أهل الحديث المحققون فقد تكلموا في أسانيد هذه الاحاديث . فالحافظ ابن الجوزي حكم بوضعها كما علمت آنفاً ، وتابعه شيخ الاسلام ابن تيمية بما تقدم تفصيله في المنار وسنجمله قريباً ، وكذلك السخاوي وهو والسيوطي من تلاميذ الحافظ ابن حجر إلا أن الأول أدق وأدنى الى التحقيق وقد قال : خبر الابدال له طرق بألفاظ مختلفة كلها ضعيفة ، وهذا القول أصح من كلام ابن حجر نفسه : منها مايصح ومنها مالا يصح . كما تعلم من التفصيل الذي نورده هنا باختصار من الكلام في أسانيدها وهو :

(الاول) حديث عبادة بن الصامت وأشار السيوطي في الجامع الصغير الى صحته وقال هو نفسه في الدرر المنتثرة [illegible] شواهد له وقال الهيثمي في منبع الفوائد في مجمع الزوائد رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير عبد الواحد بن قيس وقد وثقه العجلي وأبو زرعة وضعفه غيرهما . وأقول قال ابن حبان في عبد الواحد هذا يتفرد بالمناكير عن المشاهير ، وقال في كتاب الضعفاء لايحتج به ، وقال في كتاب الثقات لايعتبر بمتابعه ولا بمراسيله ولا برواية الضعفاء عنه وهو الذي يروي عن أبي هريرة ولم يره . وقال أبو أحمد الحاكم منكر الحديث . وزد على هذا انه كان معلم بني يزيد ابن عبد الملك وهذه شبهة قوية في جرحه فان أنصار كل دولة وصنائعها كانوا يروون لها مايقوي ثقة الأمة بها ، وهذا الحديث يرجع الى مدح أهل الشام أنصار بني امية ومعلم ماقيه . وقال الحافظ ابن عساكر رواه عبدالله في زوائد مسنده وفيه الحسن ابن ذكوان وهو منكر الحديث . أقول وقال عبدالله بن أحمد عن أبيه أحاديثه أباطيل وقال الأثرم مثل ذلك عن أحمد

(الثاني) هو لفظ آخر من الحديث الأول

(الثالث) حديث عوف وفي اسناده عمر بن واقد ضعفه جمهور رجال الجرح والتعديل وفيه شهر بن حوشب التابعي الشامي وهو لايحتج بحديثه كان يروي

المعضلات والمنكرات عن الثقات، والمقلوبات عن الاثبات. فالحديث ضعيف على أقل تقدير وانما حسنه السيوطي بتعدد طرقه، وهو الذي يسمى حسنا لغيره على اصطلاحهم

(الرابع) حديث علي كرم الله وجهه واسناده منقطع كما قال ابن عساكر وفيه شريح بن عبيد وثقه النسائي وابن حبان وغيرهما ولكن انتقد عليه انه روى عن بعض الصحابة والتابعين الذين لم يدركهم حتما ومنهم كعب الاحبار وانما أعجبهم منه في ذلك انه لم يكن يصرح بأنه سمع منهم

(الخامس) حديث أنس وقد اعترف السيوطي بضعفه على حرصه بتقوية هذه الروايات وقال ابن الجوزي موضوع

(السادس) مرسل عطاء بن أبي رباح وتمامه عند الحاكم : ولا يبغض الموالي إلا منافق . وقد اعترف السيوطي بكونه منكراً على كونه مرسلا وزاد بعضهم على ذلك إن فيه مجهولا وهو الرجال بن سالم قال الحافظان صاحبا الميزان واللسان : لا يدرى من هو والخبر منكر

وذكر ملا علي القاري في الموضوعات عن [illegible] انه قال أقوى ما روينا في الابدال قول علي : انه بالشام يكون الابدال

هذا اوفق ما قاله شيخ الاسلام ابن تيمية في رسالته في أهل الصفة والصوفية من جهة الرواية، وأما ما حققه شيخ الاسلام في المسألة من جهة الدراية فهو غاية الغايات ، وقد نشر ذلك في المنار برمته فلا نعيده وانما نذكر القراء ببعض اجل منه ، قال رحمه الله تعالى

(فصل) وأما الاسماء الدائرة على ألسنة كثير من النساك والعامة مثل الغوث الذي يكون بمكة والأوتاد الأربعة والأقطاب السبعة والابدال الأربعين والنجباء الثلاثمائة — فهذه الاسماء ليست موجودة في كتاب الله تعالى ولا هي مأثورة عن النبي (ص) باسناد صحيح ولا ضعيف محتمل ، إلا لفظ الابدال فقد روي فيهم حديث شامي منقطع الاسناد عن علي بن أبي طالب مرفوعا الى النبي (ص) انه قال « إن فيهم — يعني أهل الشام — الابدال أربعين رجلا كلما مات رجل أبدل الله مكانه رجلا » ولا توجد هذه الاسماء في كلام السلف كما هي على هذا الترتيب الخ

ثم ذكر أن لفظ الغوث والغياث لا يستحقه إلا الله تعالى ، وان القول بالقطب

من جنس دعوى الرافضة بالامام المعصوم بل ذلك الترتيب لطبقات كبار الاولياء يشبه ترتيب الاسماعيلية والنصيرية ونحوهم في السابق والتالي والناطق والأساس والجسد وغير ذلك من الترتيب الذي ما أنزل الله به من سلطان ....

ثم تكلم في مسألة الأوتاد والقطب بكلام معقول موافق للغة وعاد الى الابدال فقال « ولذلك جاء لفظ البدل في كلام كثير منهم، فأما الحديث المرفوع فالاشبه انه ليس من كلام النبي (ص) فان الايمان كان بالحجاز واليمن قبل فتوح الشام وكانت الشام والعراق دار كفر. ثم في خلافة علي قد ثبت عن النبي (ص) انه قال « تمرق مارقة على خير فرقة من المسلمين يقتلهم أولى الطائفتين بالحق » فكان علي وأصحابه أولى بالحق ممن قاتلهم من أهل الشام . . .

ثم تكلم في لفظ الابدال وجيه ما قيل في معناه ما صح منه وما لا يصح في اللغة وفي الوجود وكلامه فيه يؤيد كلام ابن خلدون . فمن أراد أن يعرف تحقيق هذه المسائل وأمثالها فعليه بهذا [illegible] (الرسائل والمسائل) وهي الرسالة الثالثة من الجزء [illegible] عن مراجعة كتاب آخر.

ولكنني أزيد عليه أن سبب ما ورد من الأثر المروي عن علي (رض) هو ان بعض جماعته كانوا يسبون أهل الشام فنهاهم عن ذلك الاطلاق وقال إن فيهم الابدال أي ان الله تعالى يبدل من أنصار معاوية غيرهم أو ما هذا معناه — فزاد فيه الرواة المتزلفون لبني أمية ثم الصوفية ما زادوا وجعلوه حديثاً مرفوعاً كما وضعوا أحاديث أخرى للامصار المشهورة من مدح وذم . روى ابن عساكر أن كعب الاحبار قال: الابدال ثلاثون . وقال أيضاً الابدال بالشام والنجباء بالكوفة ثم ذكر كثيراً من هذه الاقوال عن أهل ذلك العصر في الابدال والنجباء والنقباء والاخيار، ولفظ الابدال أشهر هذه الألفاظ ولم يكن الناس يفهمون في القرن الثاني والثالث من هذا اللفظ ما ادعاه الصوفية بعده بل قال الامام أحمد إن الابدال هم أهل الحديث.

وأما باقي هذه الروايات من ان الله تعالى ينصر أهل الشام ويرزقهم بالابدال فهو من علل متونها، ودلائل وضعها، فالله تعالى قد جعل النصر أسباباً تعرف

من كتابه ومن سننه في خلقه ، وقد أخل أفضل الأمم بقيادة أفضل الرسل (عليهم السلام) بعض أسبابه في غزوة أحد فانكسروا بعد انتصار، وظهر المشركون عليهم ، ولما استغربوا ذلك أنزل الله تعالى على رسوله (ص) ما بين له ذلك فقال (أولما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم : أنّى هذا ؟ قل هو من عند أنفسكم)

ومن هذه الأسباب الاجتماعية ما بينه تعالى بقوله (إن تنصروا الله ينصركم) وقوله (ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم) ومن أسبابه الحسية ما أمر به بقوله (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة) ومن أسبابه الروحية المعنوية قوله تعالى (اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيراً) الآية ، وفي معناها حديث « يا سعد وهل تنصرون وترزقون إلا بضعفائكم » — اي بدعائهم وصلاتهم وإخلاصهم وذلك انه يزيد ثقة القلوب بالله تعالى ويقوي تكافل الأمة

وانا نرى أهل الشام الآن في غاية البؤس وضيق الرزق والجيوش الفرنسية تدوس بلادهم وكثير [illegible] أسرارهم ؟ وهل يعد منهم سلطان باشا الأطرش ورجاله من أبطال الثورة وفوزي باشا القاوقجي ورجاله من أبطال الغوطة ؟ أم هم أهل الخرافات والثياب القذرة ؟ إن هذه الروايات قد أفسدت بأس الامة الاسلامية وصار المتصوفة وأهل الطرق المتمسكون بها فتنة لناشئة المسلمين ينفرون أولي الاستقلال العقلي والعلوم العصرية من الاسلام ، فيعدونه كغيره دين خرافات وأوهام ، كما أنهم عار على المسلمين ، أمام شعوب البشر الراقين، وقد بلغ من جهلهم وفساد دينهم وأخلاقهم أنهم صاروا أعوان فرنسة في أفريقية من حدود تونس الى ريف مراكش ، وقد آن لنا أن نعقل ونفهم ديننا من القرآن لا من هذه الروايات المنكرة التي صرفتنا عن كتاب الله تعالى وسنة رسوله (ص) التي لا تحتمل التأويل ، ولا ينال منها التضليل ، وآن لنا أن ندوس هؤلاء المضلين وكل من ينصرهم ويدأول لهم من سدنة القبور المعبودة لاعتقاد العامة أن الرزق وسعادة الدنيا تطلب من المدفونين فيها، فقد صارت أمتنا بهذه الخرافات تحت أرجل جميع الامم ، ولا تزال عامتها تعتقد أن الميتين ورجال الغيب هم سبب رزقها ودفع البلاء عنها ؟؟

قاعدة جليلة

(فيما يتعلق بأحكام السفر والإقامة)

(لشيخ الاسلام أحمد بن تيمية رحمه الله تعالى)

(تابع لما نشر في الجزء الماضي)

﴿ فصل ﴾ في تمام الكلام في القصر وسبب إتمام عثمان الصلاة بمنى وقد تقدم قبلها بعض أقوال الناس. والقولان الاولان مرويان عن الزهري وقد ذكرهما أحمد، روى عبد الرزاق: أنا معمر عن الزهري قال انما صلى عثمان بمنى أربعاً لانه قد عزم على المقام بعد الحج ورجح الطحاوي هذا الوجه مع أنه ذكر الوجهين الآخرين فذكر مارواه حماد بن سلمة عن أيوب عن الزهري قال إنما صلى عثمان بمنى أربعاً لان الاعراب كانوا كثروا في ذلك العام فأحب أن يعلمهم أن الصلاة أربع قال الطحاوي فهذا يخبر أنه فعل مافعل ليعلم الاعراب به ان الصلاة أربع. فقد يحتمل أن يكون لما أراد أن يريهم ذلك نوى الاقامة فصارت تمام فرضه أربع فصلى بهم أربعاً فالسبب الذي حكاه معمر عن الزهري[1] ويحتمل أن يكون فعل ذلك وهو مسافر لتلك العلة قال والتأويل الاول أشبه عندنا لان الاعراب كانوا بالصلاة وأحكامها في زمن رسول الله ﷺ أجهل منهم بها وبحكمها في زمن عثمان وهم بأمر الجاهلية حينئذ أحدث عهداً إذ كانوا في زمن رسول الله ﷺ إلى العلم بفرض الصلوات أحوج منهم إلى ذلك في زمن عثمان، فلما كان رسول الله ﷺ لم يتم الصلاة لتلك العلة، ولكنه قصرها ليصلوا معه صلاة السفر على حكمها ويعلمهم صلاة الاقامة على

(١) الذي خبر المبتدأ. والمعنى فالسبب الصحيح هو الذي حكاه معمر الخ

حكمها كان عثمان أحرى أن لا يتم بهم الصلاة لتلك العلة قال الطحاوي وقد قال آخرون إنما أتم الصلاة لانه كان يذهب إلى أنه لا يقصرها إلا من حل وارتحل واحتجوا بما رواه عن حماد بن سلمة عن قتادة قال قال عثمان بن عفان: إنما يقصر الصلاة من حمل الزاد والمزاد وحل وارتحل وروى باسناده المعروف عن سعيد بن أبي عروبة وقد رواه غيره باسناد صحيح عن عثمان بن سعد عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن عياش بن عبد الله بن أبي ربيعة أن عثمان بن عفان كتب إلى عماله ألا لا يصلين الركعتين جابٍ ولا تانٍ ولا تاجر إنما يصلي الركعتين من كان معه الزاد والمزاد وروي أيضاً من طريق حماد [illegible] عن أيوب السختياني أخبره عن أبي قلابة الجرمي [illegible] عثمان أنه قال بلغني أن قوماً يخرجون [illegible] فيقصرون الصلاة وإنما يقصر الصلاة من كان شاخصاً أو بحضرة عدو. قال ابن حزم وهذان الاسنادان في غاية الصحة قال الطحاوي: قالوا وكان مذهب عثمان أن لا تقصر الصلاة إلا من يحتاج إلى حمل الزاد والمزاد ومن كان شاخصاً فأما من كان في مصر يستغني به عن حمل الزاد والمزاد فانه يتم الصلاة قالوا ولهذا أتم عثمان بمنى لأن أهلها في ذلك الوقت كثروا حتى صارت مصراً يستغني من حل به عن حمل الزاد والمزاد قال الطحاوي وهذا المذهب عندنا فاسد، لأن منى لم تصر في زمن عثمان أعمر من مكة في زمن رسول الله ﷺ، وقد كان رسول الله ﷺ يصلي بها ركعتين، ثم صلى بها أبو بكر بعده كذلك، ثم صلى بها عمر بعد أبي بكر كذلك فاذا كانت مع عدم احتياج من حل بها الى حمل الزاد والمزاد، تقصر

فيها الصلاة فما دونها من المواطن أحرى أن يكون كذلك قال فقد انتفت هذه المذاهب كلها لتفاسدها من عثمان أن يكون من أجل شيء منها قصر الصلاة ، غير المذهب الاول ، الذي حكاه معمر عن الزهري ، فانه يحتمل أن يكون من أجلها أيضا ، وفي الحديث أن إتمامه كان لنيته الاقامة على ماورينا فيه ، وعلى ما كشفنا من معناه (قلت) الطحاوي مقصوده أن يجعل مافعله عثمان موافقا لاصله ، وهذا غير ممكن فان عثمان من المهاجرين والمهاجرون كان يحرم عليهم المقام بمكة ولم يرخص النبي ﷺ لهم ، اذا قدموا مكة للعمرة أن يقيموا بها أكثر من ثلاث بعد قضاء العمرة كما قال في الصحيحين عن العلاء بن الحضرمي أن النبي ﷺ رخص للمهاجر أن يقيم بعد قضاء نسكه ثلاثا ، ولهذا لما توفي ابن عمر بها أمر أن تدفن بالحل ولا تدفن بها ، وفي الصحيحين أن النبي ﷺ لما عاد سعد بن أبي وقاص ، وقد كان مرض في حجة الوداع ، خاف سعد أن يموت بمكة فقال يارسول الله أخلف عن هجرتي فبشره النبي ﷺ بانه لايموت بها ، وقال إنك لن تموت حتى ينتفع بك أقوام ويضر بك آخرون ، لكن البائس سعد بن خولة يرثي له رسول الله ﷺ ان مات بمكة

ومن المعروف عن عثمان أنه كان إذا اعتمر ينيخ راحلته ، فيعتمر ثم يركب عليها راجعا فكيف يقال إنه نوى المقام بمكة ؟ ثم هذا من الكذب الظاهر ، فان عثمان ماأقام بمكة قط ، بل كان إذا حج يرجع إلى المدينة

وقد حمل الشافعي وأصحابه وطائفة من متأخري أصحاب أحمد ،

كالقاضي وأبي الخطاب وابن عقيل وغيرهم فعل عثمان على قولهم . فقالوا لما كان المسافر مخيرا بين الاتمام والقصر ، كان كل منهما جائزا ، وفعل عثمان هذا ، لان القصر جائز والاتمام جائز ، وكذلك حملوا فعل عائشة واستدلوا بما رووه من جهتها ، وذكر البيهقي قول من قال أتمها لاجل الاعراب ، ورواه من سنن أبي داود ، ثنا موسى بن اسماعيل ، ثنا حماد عن أيوب عن الزهري ، أن عثمان بن عفان أتم الصلاة بمنى من أجل الاعراب، لانهم كثروا عامئذ فصلى بالناس أربعا ليعلمهم أن الصلاة أربع

وروى البيهقي من حديث اسماعيل بن اسحاق القاضي ثنا يعقوب عن حميد ثنا سليمان بن سالم مولى عبد الرحمن بن حميد عن عبد الرحمن بن حميد عن أبيه عن عثمان بن عفان أنه أتم الصلاة بمنى ثم خطب الناس فقال : أيها الناس إن السنة سنة رسول الله ﷺ وسنة صاحبيه، ولكنه حدث العام من الناس فخفت أن تستنوا ، قال البيهقي وقد قيل غير هذا والاشبه أن يكون رآه رخصة فرأى الاتمام جائزا كما رأته عائشة ، (قلت) وهذا بعيد فان عدول عثمان عما داوم عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وخليفتاه بعده مع أنه أهون عليه ، وعلى المسلمين ومع ماعلم من حلم عثمان واختياره له ولرعيته ، أسهل الامور وبعده عن التشديد والتغليظ لايناسب أن يفعل الامر الاثقل الاشد مع ترك ماداوم عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وخليفتاه بعده ، ومع رغبة عثمان في الاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم وخليفته بعده لمجرد كون هذا المفضول جائزا ، ان لم ير أن في فعل ذلك مصلحة راجحة بمثله على أن يفعله وهب أن له أن يصلي أربعا فكيف يلزم بذلك من يصلي خلفه ؟ فانهم إذا أتموا

به صلوا بصلاته فيلزم المسلمين بالعمل الاثقل مع خلاف السنة بمجرد كون ذلك جائزا . وكذلك عائشة وقد وافق عثمان على ذلك غيره من السلف امراؤهم وغير امرائهم و كانوا يتمون وأئمة الصحابة لايختارون ذلك . كما روى مالك عن الزهري أن رجلا أخبره عن عبد الرحمن ابن المسور بن مخرمة وعبد الرحمن بن عبد يغوث كانا جميعا في سفر وكان سعد بن أبي وقاص يقصر الصلاة ويفطر و كانا يتمان الصلاة ويصومان فقيل لسعد نراك تقصر من الصلاة وتفطر ويتمان فقال سعد نحن أعلم وروى شعبة عن حبيب بن أبي ثابت عن عبد الرحمن بن المسور قال كنا مع سعد بن أبي وقاص في قرية من قرى الشام فكان يصلي ركعتين فنصلي نحن اربعا فنسأله عن ذلك فيقول سعد نحن أعلم وروى مالك عن ابن شهاب عن صفوان بن عبد الله بن صفوان قال جاء عبدالله بن عمر يعود عبدالله بن صفوان فصلى بنا ركعتين ثم انصرف فأتممنا لانفسنا (قلت) عبدالله بن صفوان كان مقيما بمكة فلهذا أتموا خلف ابن عمر وروى مالك عن نافع أن ابن عمر كان يصلي وراء الامام بمنى اربعا واذا صلى لنفسه صلى ركعتين قال البيهقي والاشبه أن يكون عثمان رأى القصر رخصة فرأى الاتمام جائزا كما رأته عائشة قال وقد روي ذلك عن غير واحد من الصحابة مع اختيارهم القصر ثم روى الحديث المعروف من رواية عبدالرزاق عن اسرائيل عن ابي اسحاق السبيعي عن ابي ليلى قال اقبل سلمان في اثنى عشر راكبا من اصحاب النبي ﷺ فحضرت الصلاة فقالوا تقدم ياابا عبد الله فقال انا لا نؤمكم ولا ننكح نساءكم ان الله هدانا بكم قال فتقدم رجل من القوم فصلى بهم اربعا قال فقال سلمان مالنا ولا

لمربعة انما كان يكفينا نصف المربعة ونحن الى الرخصة احوج قال فبين سلمان بمشهد هؤلاء الصحابة ان القصر رخصة (قلت) هذه القضية كانت في خلافة [1]

وسلمان قد انكر التربيع وذلك أنه كان خلاف السنة المعروفة عندهم فانه لم تكن الائمة يربعون في السفر وقوله ونحن الى الرخصة احوج يبين أنها رخصة وهي رخصة مامور بها كما أن أكل الميتة في المخمصة رخصة وهي مامور بها وفطار المريض رخصة وهو مامور به والصلاة بالتيمم رخصة مامور بها والطواف بالصفا والمروة قد قال الله فيه (فمن حج البيت أو اعتمر فلاجناح عليه أن يطوف بهما) وهو مامور به إما ركن وإما واجب وإما سنة والذي فعل سلمان إما لأنه كان لا يرى القصر لمثله إما لأن سفره كان قصيراً عنده وإما لأن سفره لم يكن عنده مما يقصر فيه الصلاة فان من الصحابة من لا يرى القصر إلا في حج أو عمرة أو غزو وكان لكثير من السلف والخلف نزاع في جنس سفر القصر وفي قدره فهذه القضية المعينة لم يتبين فيها حال الامام ومتابعة سلمان له تدل على أن الامام إذا فعل شيئاً متأولا اتبع عليه كما إذا قنت متأولا أو كبر خمساً أو سبعاً متأولا والنبي ﷺ صلى خمساً واتبعه أصحابه ظانين أن الصلاة زيد فيها فلما سلم ذكروا ذلك له فقال «إنما أنا بشر أنسى كما تنسون فان نسيت فذكروني» وقد تنازع العلماء في الامام إذا قام الى خامسة هل يتابعه المأموم أو يفارقه ويسلم أو يفارقه وينتظره أو يخير بين هذا وهذا على أقوال معروفة وهي روايات عن أحمد أو رأى أن التربيع مكروه

(١) بياض بالأصل

وتابع الامام عليه فان المتابعة واجبة ويجوز فعل المكروه لمصلحة راجحة ولا ريب أن تربيع المسافر ليس كصلاة الفجر أربعاً فان المسافر لو اقتدى بمقيم لصلى خلفه أربعاً لاجل متابعة أمامه فهذه الصلاة تفعل في حال ركعتين وفي حال أربعاً بخلاف الفجر فجاز أن تكون متابعة الامام المسافر كمتابعة المسافر المقيم لان كلاهما اتبع إمامه وهذا القول وهو القول بكراهة التربيع أعدل الاقوال وهو الذي نص عليه أحمد في رواية الاثرم وقد سأله هل للمسافر ان يصلي أربعاً؟ فقال لا يعجبني ولكن السفر ركعتان وقد نقل عنه المروذي أنه قال إن شاء صلى أربعاً وإن شاء صلى ركعتين ولا يختلف قول أحمد أن الافضل هو التعجيل نقل عنه إذا صلى أربعاً أنه توقف في الاجزاء ومذهب مالك كراهة التربيع وأنه يعيد في الوقت ولهذا يذكر في مذهبه [illegible] على قولين

ومذهب الشافعي جواز الامرين وأيهما أفضل فيه قولان أصحهما أن القصر أفضل كاحدى الروايتين عن أحمد، وهو اختيار كثير من أصحابه وتوقف أحمد عن القول بالاجزاء يقتضي أنه يخرج على قوله في مذهبه، وذلك أن غايته أنه زاد زيادة مكروهة وهذا لا يبطل الصلاة فانه أتى بالواجب وزيادة والزيادة إذا كانت سهواً لا تبطل الصلاة باتفاق المسلمين، وكذلك الزيادة خطأ اذا اعتقد جوازها وهذه الزيادة لا يفعلها من يعتقد تحريمها وإنما يفعلها من يعتقدها جائزة ولا نص بتحريمها بل الادلة دالة على كون ذلك مخالفاً للسنة لا أنه محرم كالصلاة بدون رفع اليدين ومع الالتفات ونحو ذلك من المكروهات وسنتكلم ان شاء الله على تمام ذلك. (للكلام بقية)

(منهج الدكتور طه حسين العلمي في البحث)

للاستاذ الشهير صاحب الامضاء

أظن أن الصحف لا تأبي عليّ نشر هذا النقد لشعر الجاهلي للدكتور طه حسين وأن ليس لاحد سبيل عليها إذا نشرته لأنه لا يتعلق بدينه ولا باثبات كفره بما كتبه في الشعر الجاهلي ولا باثبات أنه طعن في الدين الاسلامي الذي تقام شعائره في مصر فيكون مستحقا العقوبة المنصوص عليها في القانون المصري . وإنما هو مناقشة هادئة علمية محضة في المنهج الذي اصطنعه الدكتور في البحث في الشعر الجاهلي يتبين منها أهذا المنهج الذي سلكه في البحث علمي منطقي يرضى عنه العلم أم هو منهج خيالي، لا يحترمه العلم ويحتقره المنطق ويرى أنه من المغالطات

إننا سنحاول ذلك وستكون النتيجة كما سيراها القارئ، أن منهج الدكتور في البحث من ضلالات العقول ومغالطات الأوهام، وأنه ليس يسلك هذا المنهج إلا الذين لم يمارسوا صناعة المنطق ولم يمرنوا على صناعة البرهان ، وكانوا سطحيين في بحوثهم لم يتعمقوا إلى الغور ، ولم يعقلوا المرمى ، وغرضنا من ذلك أمور ثلاثة

(أولها) أن تسقط دعوى الدكتور طه حسين بأن ما سلكه في البحث منهج علمي حديث وأنه بذلك يحشر نفسه في زمرة العلماء، حشراً في عداد (؟) المخترعين والمبتكرين والمستكشفين وليس يعلم إلا الله ما ينال هؤلاء العلماء من الأذى في مضاجعهم بانتساب الدكتور اليهم وحشره نفسه قسراً في زمرتهم

(ثانيها) أن أحمي شباب مصر من عدوى ذلك المنهج ومن أن يتأثروا الدكتور في طرائقه الفكرية . فان مستوى البحث في مصر لما ينضج بعد ، وذيوع أمثال طرائق الدكتور مما يكون ضغثا على إبالة

(ثالثها) أن يعلم الذين يدينون بالاسلام في مصر أن دينهم لم يصادمه علم ولا عقل كما يدعي الدكتور ويفتري ، وحاشا الاسلام أن يصادمه علم أو عقل ، وأنه اذا كان ثمّ ما يصادمه فليس العلم والعقل وإنما هو الجهل المخزي والباطل الشائن والعقل الفجّ الذي لم يستكمل بعد شرائط الانتاج — سيسوء ذلك الدكتور طه

حسين ولا أرضيه، ولكنني لست أتوخى رضاه ولا أتحرز من سخطه، وإنما أتوخى رضى الحق وأتجنب مساءة الصواب. فأما من عداهما فلا علي أن يكونوا غاضبين وليس يدخل في غرضي أن يقتنع الدكتور طه حسين فانه ليس ممن يرجى منهم اقتناع فانه ليس طالب حق وإنما هو طالب رواج. وليس ممن يعنيهم الصواب وإنما ممن يعنيهم الربح، فهو كالتاجر همه أن تروج بضاعته لا أن تنقد فيعلم جيدها من رديئها، وكما أن التاجر إذا بصرته عيب بضاعته ناكرك وجاحدك، كذلك الدكتور إذا ألمسته عيب مايقول يده جحد واستكبر، لأن ذلك يقف دون رواجه وربحه — وإياهما يريد[1].

إن الذي أفسد على الدكتور أمره اعتقاده أن أمته أمية فهو يلقي اليها مباحثه على عواهنها لايعنى بتمحيصها ونفي الزائف منها عالما بانه ليس عندها من ملكة النقد مايبين عيبه ويظهر شينه، وقد مد له في هذا الاعتقاد أنه يرى المعجبين برأيه والمقرظين لعلمه [illegible]

ألا فليعلم الدكتور بعد أنه ليس ينشر بحثه في أمة وحشية متبدية كقبائل الزنوج وإنما هو ينشرها في أمة متحضرة متمدينة ضربت في العلم بسهم وأخذت منه حظاً، وأن بني قومه فيهم من ينقدون الآراء ويعلمون حقها من باطلها، ويعلمون المغالطات مهما بولغ في تزيينها، وأنهم لم تستعص عليهم نحل الفلاسفة ومعتقداتهم في الالهيات والاخلاق والسياسة والاجتماع فنقدوها، وعلموا زائفها من خالصها، فكيف تستعصي عليهم آراء سطحية تتعلق بتاريخ أو شعر؟ وأنهم إن كانوا قليلا ففي استطاعة هؤلاء القليل أن يبينوا لجمهرة الامة عثرات الرأي وكبوات الافهام

جاء شقيق عارضاً رمحه ... إن بني عمك فيهم رماح

نفي الدكتور طه حسين في الفصل الذي عنوانه (الشعر الجاهلي واللغة) وجود

(١) المنار: هذا الحصر خطأ بين فان مطلب الرجل الاول صرف الناس عن الدين وحملهم على الالحاد والزندقة وغرضه الاول من هذه الشهرة بالفلسفة والتزلف للافرنج وإنما رواج الكتاب وربحه فرض ثالث إن صح أن يكون على حقارته غرضا

إبراهيم واسماعيل وبناءهما الكعبة وهجرتهما الى مكة وتعلم اسماعيل العربية من العرب العاربة الذين هم من قحطان وان كان قد ورد ذكرهما في التوراة والقرآن. نفى ذلك الدكتور وليس له اختيار في هذا النفي لانه مضطر أمام الدليل القطعي، والدليل الذي اضطره الى ذلك هو أنه قد ثبت أن لغة قحطان أي لغة جنوب جزيرة العرب تخالف اللغة العربية التي يتكلم بها أهل الحجاز فنسبتها إلى اللغة العربية كالنسبة بين اللغة العربية وبين أي لغة سامية، فاذا كانت هذه القصة صحيحة وكان اسماعيل وبنوه قد تعلموا العربية من القحطانية، فكيف بعد ما بين اللغة العربية العدنانية واللغة القحطانية؟

نحن إذن بين أمرين اما أن نقبل هذه القصة ونرفض ذلك الدليل القطعي أو العكس، ولا مندوحة تجوز رفض الدليل القطعي فلا بد من رفض هذه القصة وإنكارها والاذعان للدليل القطعي: ننكرها بجملتها فلم يوجد ابراهيم واسماعيل فضلا عن بنائهما الكعبة وهجرتهما إلى مكة وتعلم اسماعيل العربية من القحطانية، نحن مضطرون إلى ذلك وان حدثنا القرآن والتوراة عنهما فان ورود هذين الاسمين فيهما لايكفي لوجودهما التاريخي.

هذا دليل الدكتور وسنبدأ في مناقشته قبل الدخول في تفصيلات المناقشة.

نذكر مقدمة ينبغي أن تعلم وهي ان القرآن لم يعرض لحديث تعلم اسماعيل العربية من قحطان وإنما الذي عرض له وجودهما وهجرتهما وبناؤهما الكعبة، وإنما الذي عرض لتعلم اسماعيل العربية من القحطانية هم مؤرخو اللغة. وبعد فنسلم للدكتور جدلاً كل ماقاله من البعد بين القحطانية والعدنانية بعداً يجعلهما لغتين مستقلتين ومن أنه لو تعلم اسماعيل من القحطانية لكانت اللغتان متفقتين أو متقاربتين

ولكننا نقول له إن دليلك لاينفي إلا أن اسماعيل تعلم اللغة العربية من القحطانيين فاما وجودهما وهجرتهما إلى مكة وبناؤهما الكعبة وهي الأمور التي عرض لها القرآن فلاينفيها ولايتعرض لها، فما يتفق مع دليلك ان يكون ابراهيم واسماعيل قد وجدا وهاجرا إلى مكة وبنيا الكعبة وتعلم اسماعيل وأبناؤه العربية من غير القحطانيين من العرب الذين خلقهم الله يتكلمون العربية الحجازية التي

بعثت إلى مجيء الاسلام ، فالدليل القطعي لاينفي إلا شيئاً واحداً وهو تعلم اسماعيل وبنيه العربية من القحطانية ، فمن الواجب أن يقتصر به على ذلك ولا يعدي الى القصة جميعها فينفيها اذ لامنافاة بينه وبين بقيتها . ومثل الدكتور في ذلك مثل من يسمع مؤرخين أحدهما يقول إن اللورد كتشنر كان عميد الدولة البريطانية في مصر والآخر يقول إنه كان عميدها في مصر سنة ١٩٢٠ فيقول : ان التاريخ يفيد أن اللورد كتشنر غرق زمن الحرب العظمى التي انتهت قبل هذا التاريخ فما قاله المؤرخان كذب ولم يكن اللورد كتشنر عميداً لانكلترا في مصر وقتاً ما . كذب المؤرخين وكذب القصة جميعها ولو اتبع المنطق لنفى كونه عميداً في زمن سنة ١٩٢٠ ولم يعد النفي الى كونه عميداً ولم يكذب المؤرخ الاول اذ لم يتعرض لتعيين الزمن ، وكذلك الأمر عندنا: الدليل ينفي ماقاله المؤرخون من أن اسماعيل تعلم العربية من القحطانية فينفي به الدكتور القصة حتى ماذكره القرآن من وجودهما وهجرتهما وبنائهما الكعبة مما لم ينفه الدليل ولم يتعرض له ويكذب القرآن فيما قاله وهو لم يعرض لما نفاه الدليل واعترض عليه.

فيادكتور دليلك أقصر من دعواك : أنت تدعي نفي وجود ابرهيم واسماعيل وهجرتهما إلى مكة وبناءهما الكعبة وتعلم اسماعيل العربية من القحطانية ، ودليلك إنما ينفي الأخير وهو تعلم اسماعيل العربية من القحطانية ، وأما ماعدا ذلك فلا ، ويسمي علماء المناظرة ذلك بمنع التقريب والتقريب سوق الدليل على وجه يستلزم المطلوب ، ويقولون في مثل ذلك إن التقريب غير مسلم أي إنك سقت الدليل على وجه لا يستلزم المطلوب ، فمثلك مثل من ادعى أن هذا الشبح انسان ويستدل على هذه الدعوى بأنه متحرك بالارادة وكل متحرك بالارادة حيوان ، نعم الدليل مسلم ولكنه لا يستلزم المطلوب وهو أنه انسان

فالمنطق يأمرنا اذا نفى الدليل شيئاً أن نقصره على ذلك الشيء ولا نعديه إلى ماعداه ، وقد رأيت في مثال اللورد كتشنر كيف نخطئ اذا عدينا النفي إلى غير ماقام عليه الدليل — ولو أردنا أن نصوغ دليلك في قالب منطقي لكان هكذا : لو كانت الحجازية أصلها القحطانية لما بعد مابينها هذا البعد لكنها

متباعدتان، إذن فليست الحجازية أصلها القحطانية ، هذه النتيجة فقط . ولكنك تزيد فيها ما يأتي: لم يوجد ابراهيم واسماعيل ولم يبنيا الكعبة ولم يهاجرا إلى مكة .

وهذا هوس ليس منطقاً ويظهر أن الدكتور طه علم أن دليله لاينتج تكذيب القرآن فيما ذكره فلم يرتب التكذيب على الدليل ولم يقل (وإذن) التي يستعملها دائماً في كلامه وقال : فواضح جداً لكل من له إلمام بالبحث التاريخي عامة وبدرس الأساطير والاقاصيص خاصة أن هذه النظرية متكلفة مصطنعة في عصور متأخرة دعت اليها حاجة دينية ، أو اقتصادية ، أو سياسية . وهو بين شرين لامفر منهما إما أن يكون أجترأ على تكذيب القرآن في وجود ابراهيم واسماعيل بدون دليل وليس بيده إلا قوله «فواضح جداً» ـ وحينئذ تكون دعوى لادليل عليها، والدعاوى إن لم تقم عليها بينة لم يعبأ بها ، وإما أن يكون قد كذب القرآن بذلك الدليل ، وقد علمنا أنه أقصر من دعواه ولا ينتج تكذيب القرآن

هذا وقد رأى القراء أننا لم [illegible] الدكتور على قاعدة أن القرآن نص يقيني وهو حجة على كل ما خالفه ، وإنما ناقشناه على قاعدة أنه نص تاريخي كنص أي مؤرخ من البشر تنزلا معه ، وبينا له أن دعواه لم تتم لأن الدليل العقلي الذي استعمله لاينهض فلم نلزمه بنصوص الدين لئلا يقال إن ذلك لايلزمه الا المتدين وانما ألزمناه بالأدلة العقلية المشتركة الانسانية كلها من تدين منهم ومن لم يتدين

ولا يظن ظان أن أدلة الدكتور الحديثة تقف عند هذا الحد من العبث والبطلان ، بل إن لها لونا آخر من ألوان العبث والبطلان وهو ماسنبينه .

يزعم الدكتور طه أن قصة إبراهيم وإسماعيل موضوعة وضعها اليهود لغرض وهو أنهم كانوا يريدون أن يثبتوا القرابة بينهم وبين العرب ليعيشوا معهم عيشة راضية وقبلتها مكة لغرض سياسي وديني لأنهم كانوا يريدون أن يتصل نسبهم بأصل من تلك الاصول الماجدة ، وقبلها الاسلام لغرض ديني وهو أنه يريد أن يثبت صلة بينه وبين اليهودية

هكذا زعم الدكتور وليس معه نص تاريخي يفيد ذلك وليس بيده إلا أن ذلك يمكن أن يكون قد كان ، واذا تصور على هذا الحال كان منسجما ،

ونحن نقول له يادكتور إن التاريخ لايثبت بمثل ذلك وليس كل مايمكن أن يكون قد كان يجب أن يكون قد كان ، ولا يثبت الأمر بأن هذه العلة يجوز أن تكون له . وأن مثلك في ذلك مثل مؤرخ يأتي بعد مائتي سنة يقول : يزعم المؤرخون أن أمريكا اشتركت مع فرنسا في حرب ألمانيا في الميدان الغربي ، وهذا باطل فأين أمريكا من فرنسا أن بينهما المحيط الاطلانطيقي على سعته . القصة مكذوبة وقد اخترعها بعض الامريكان لتقرب الشعبين الأمريكي والفرنسي بعضهما من بعض ، إن هذه القصة تفيد أنهما حاربا معا جنبا لجنب عدواً مشتركا فهي تدعو الى تآلف الشعبين فقد وضعت لذلك ، وأن الذى يدعو الى أن توضع علوم الاوائل كلها موضع الشك ولا يثبت إلا ماقام العلم على اثباته لا يسوغ له أن يطلب منا الاقتناع بمثل هذه الظنون والاوهام وليس عنده من الحجة إلا أن ذلك يمكن أن يكون قد كان ، فيجب أن يكون قد كان . اللهم إلا اذا كان يدعو الى رفض تقليد الماضين الى تقليده هو ، وان قارئي كتابه يحتاجون إلى مقدار عظيم من البلاهة والغرارة حتى يقنعوا بأمثال تلك الحجج التي هي كما قال الاول

حجج تهافت كالزجاج تخالها حقاً وكل كاسر مكسور

اذا أراد الدكتور أن يقنع الامة بكتابه فعليه أولا أن يبدأ بالغاء عقولها وعكس منطقها السليم ، واحالة تلك العقول عن فطرتها ، حتى تكون على غرار عقله . ثم يلقى اليها بعد أمثال تلك الاوهام ، وحينئذ تقتنع بها وتصدق ويتم له مايريد ولكن : دون ذلك وينفق [1]

ألا لايقولن الدكتور بعد اليوم : المنهج العلمي الحديث ، ولا البرهان العلمي ، ولا يتمسحن بأعتاب العلماء ، فقد أطلعنا القراء على قيمة نهجه العلمي الحديث ومنطقه الجديد فعلموا أن ذلك ليس منطق العقلاء وانما هو منطق البله والاغمار والممرورين .

ويعد «كتاب الشعر الجاهلي» ان كان ألفه مؤلفه كتابا في المغالطات ، وأمثلة على القياس الذى لم يستكمل شروط الانتاج ، والأضرب العقيمة والحجة الخداج ،

(١) تتمة المثل وينفق الحمار – والامثال لا تغير وما كل قارىء يعرف المثل فنغنيه النقط عن ذكر الحمار المراد بنفاقه نفاق كتاب الدكتور

فهو كتاب جيد في بابه واف بالغرض الذي قصد اليه . وان كان ألفه مؤلفه كتاباً في تاريخ الشعر والادب فليس من ذلك في قليل ولا كثير

ولو أن في بلادنا مجمعا علميا منتظما لحكمته بيني وبين الدكتور ولرضيت حكمه فيما رميت به دعاوي الدكتور من أنها دعاوي يقيم عليها أدلة أقصر منها تارة، ويدعيها بدون برهان تارة، ويثبت الشيء بأنه ممكن تارة أخرى، ولكن من وراء ذلك التحكيم الخير العظيم، فانه اذا حكم عليّ تواريت خجلا وأرحت الناس من سماع هذا النقد وأمثاله . واذا حكم على الدكتور حمى شباب الامة من التورط في آرائه وحماها أيضا من عدوى ذلك المنهج الخاطئ في البحث — أما والبلد ليس فيها مثل المجمع فادعو المشتغلين بالمنطق أن يبدوا آراءهم فيما بيني وبين الدكتور من خلاف، لانهم ان فعلوا ذلك خدموا العلم والحقيقة ومن أولى من هؤلاء بخدمة العلم المظلوم والحقيقة المهتضمة ؟

محمد عرفة

العالم بمعهد الاسكندرية

(المنار) قد بيّن في مقاله الذي نشرناه في الجزء الماضي طريقة الدكتور طه حسين في البحث والاستدلال في قواعد كلية بسط الاستاذ الشيخ محمد عرفة غراب الكلام على اثنتين منها وهما الدعوى بدون دليل والاستدلال بما لا يدل على المطلوب ، وهو ضرب من المغالطة الواضحة ، وقد كبر من شأنها بتمنيه عرضها على مجمع علمي لو وجد أو بعرضها على المشتغلين بعلم المنطق ليعلم أيهما الخاطئ في البحث ، وحسبنا من علم الجمهور — أهل المنطق الفني ومن دونهم من أهل المنطق الفطري — بسفسطة الدكتور ومغالطاته انه لم يدافع عنه أحد من الملاحدة ولا أعضاء جمعيته وحزبهم ولا قرظوه ولا أثنوا عليه كما فعل بعضهم بالدفاع عن علي عبد الرازق إذ كان أحذق منه في المغالطة والسفسطة

نعم ان بعض التلاميذ والعوام قد يغترون بخلابته فالواجب بيان ضلاله وإضلاله في مسائل الكتاب لا في الاستدلال عليها فقط

الصحة

تأليف — زعيم الهندوس الاكبر مهاتما غاندي
ترجمة — الاستاذ الشيخ عبد الرزاق المليح آبادي

ان المكتشفات الحديثة قد أثبتت بأن الانسان الصحيح التام الصحة — وهو الذي لم يفسد دمه بكثرة الحرارة، والذي غذاؤه جيد صحي — لا يتأثر حالا بسم الثعبان. وأن تأثيره يكون سريعاً وخطراً في جسم من أفسد دمه بالحر أو الغذاء الردي‌ء. وقد توسع في هذا المعنى أحد الاطباء حتى قال «إن دم الرجل الذي لا يأكل الملح وما شاكله بل يقتصر على تناول الثمار وحدها يبقى دمه نظيفاً نظيفاً، حتى إنه لا يمكن أن يؤثر فيه أي نوع من السم تأثيراً ما» اني ماجربت هذا الامر تجربة كافية حتى أجزم بصحته لأن الرجل الذي يترك الملح وأمثاله من الاشياء سنة أو سنتين فقط لا يمكن أن [illegible] بل [illegible] عن الصيانة والمناعة. لأن الدم الذي قد فسد وتسمم بعمل ردي‌ء دام سنين كثيرة لا يتأتى رده إلى حالته المعتدلة من الطهارة في مدة وجيزة.

لقد ثبت بالتجارب أن الانسان يتأثر بالسم إذا كان في حالة الغضب أو الخوف أسرع بكثير من تأثره اذا كان في حالته الاعتيادية. كل منا يعرف كيف يزيد الخوف والغضب دقات القلب في الحالة الاعتيادية. وكلما كثرت دورة الدم في الشرايين يزداد تولد الحرارة كثرة. ولكن الحرارة التي تتولد من الانفعالات الخبيثة ليست صحية بل مضرة للغاية. وليس الغضب إلا نوعا من الحمى. فأحسن ترياق لنهش الثعبان هو استعمال الغذاء الصحي المعتدل، وتطهير المخ من نوازع الشر كالغضب والخوف، واجتناب توسيع المجال للذعر والرعب، والثبات والثقة التامة بالقوة الواقية، وضبط النفس والقوى، مع الاعتماد على الله والايمان التام بأن أنفسنا في يده سبحانه، وبأن المدة الوجيزة

من الحياة التي قدرها لنا لايمكن بحال من الأحوال أن ينقصها أحد أو يزيدها ، هذه هي صفات الحياة الطاهرة المقدسة !

ان الدكتور (فيتز - ومان) Fitz - Seaman مدير متحف Port Elizadeth (ثغر أو مرفأ أليصابات) قد أنفق قسطا كبيراً من حياته في تعرف أحوال الحيات ودرس طبيعتها وخواصها ، وهو يعد حجة كبيرة في النهش وعلاجه وهو يقول لنا في بيان نتيجة تجاربه العديدة التي لاتحصى « إن أكثر ميتات النهش المزعومة هي في الحقيقة نتيجة للخوف والمعالجات الخاطئة التي يستعملها المتطببون »

يجب أن نتذكر دائماً أن بعض الثعابين ليست سامة ، وان نهش السام منها ليس فيه خطر مباشر ، على أن هذه الثعابين لاتجد دائماً فرصة لافراغ سمها في جسم الملدوغ وقت النهش . ولذلك ينبغي ألا نجزع إذا نهشنا ثعبان سام مادام العلاج السهل جداً متيسراً ويمكن أن نستعمله بانفسنا بدون استعانة باحد . وهو :

يجب أن يربط ما فوق محل النهش مباشرة ربطاً جيداً بعصابة تشد شداً تاما بادخال قلم الرصاص أو عود الكبريت أو نحوه لئلا يصعد السم من طريق العروق ثم يجب أن يشق الجرح شقا قدر نصف قيراط في العمق برأس سكين مرهف ليتمكن الدم من الخروج بكثرة ثم يملأ بمسحوق أصهب اللون أسود أحمر ، يباع في الاسواق يسمى patassium permanganat وان لم يتيسر ذلك فيمص محل اللدغ مصاً جيداً ويبصق الدم . وسواء كان الماص هو المصاب أو غيره فكله جائز الا أنه لايجوز أن يكون الماص في فمه جرح لئلا يسري اليه السم . إن هذا العلاج يستعمل خلال سبع دقائق من وقوع الحادثة ـ أي قبل أن يجد السم وقتا للصعود والانتشار في الجسم . وإن الدكتور الالماني السابق الذكر الذي أخصي في العلاج الترابي يدعي كما مر أنه عالج النهش بدفن المنهوش في حفرة جديدة بالتراب ، واني وان كنت ماجربت التراب في النهش ولكني أعتقد بدون شك نفعه بتجربتي إياه في حوادث أخرى . وبعد استعمال Patassium Permanganat أو مص الدم يجب أن نستعمل لبخة طينية سميكة بقدر نصف قيراط وكبيرة تكفي لتغطية المحل

المنهوش وماحوله تماما . يجب أن تبقى في كل بيت كمية من التراب المطحون المصفى جيداً في صفيحة معدة لاستعمال الابخة . ويعرض التراب دائما للشمس والهواء ويحافظ عليه من الرطوبة ، وكذلك يجب أن تبقى العصابات الصالحة لذلك من القماش مهيئة لتستعمل عند الحاجة حالا . ان هذه الاشياء تكون نافعة لا في النهش فقط بل في حوادث كثيرة أخرى .

اذا فقد المنهوش شعوره أو ظهر أن التنفس قد انقطع فعملية التنفس الصناعي التي قد ذكرت في شأن الغريق تستعمل هنا أيضا . وكذلك الماء الساخن أو بالاولى المغلي فيه القرنفل وقشر شجرة الغار فانه نافع جداً لاستعادة الشعور ، يجب أن يبقى المنهوش في الهواء الطلق ولكن ان ظهر أن الجسم اخذ يبرد فتستعمل لتدفئته قنينات الماء الساخن أو يدلك الجسم بقطعة من الفلالين المبلولة بالماء الساخن المعصورة لتوليد الحرارة .



« لسع العقرب »

يقول المثل السائر عندنا « لا يشعر بك أحداً بوجع لدغ العقرب » فهذا يظهر شدة الوجع . والحقيقة أن هذا الوجع أشد من لسع النحل ولكنا لا نخاف منه كثيراً لانه أقل خطراً منه بكثير . لاشك كما قال الدكتور (مور Moor) إن الرجل الطاهر الدم تماما ينبغي أن يكون خوفه قليلا من ابرة العقرب لانه لا يتأذى بها الاقليلا

ان علاج اللسع سهل . يجب أن يشق الموضع الملدوغ برأس سكين حاد ويمتص الدم مصا . ان عصابة صغيرة تشد بقوة فوق المكان الملدوغ لتمنع السم من الصعود واللبخة الطينية تخفف الوجع حالا .

نصح بعض الكتاب بربط خرقة سميكة مبلولة بمزيج من الخل والماء في نسبة واحدة فوق الموضع الملدوغ . أو يبقى هذا المكان وما حوله مغموسا في ماء الثلج ولكن اللبخة الطينية أحسن علاج ويمكن أن يجربها بنفسه كل من قدر عليه أن تلدغه العقرب . يجب أن تكون اللبخة سميكة جداً حتى إن الرطلين من التراب أيضاً لا يعدان كثيراً . اذا كان اللدغ في الاصبع مثلا فاللبخة تستعمل الى المرفق . وان ابقاء اليد مغموسة لمدة في طين رخو في اناء كبير نظيف يخفف الوجع أيضا . ان لدغ أم أربع وأربعين وغيرها من الحشرات يجب أن يعالج بعلاج العقرب نفسه

الباب الحادي عشر

﴿ الخاتمة ﴾

لقد فرغت من كل ماأردت أن أقوله في موضوع الصحة . والآن أريد أن أقول لقرائي قبل أن أودعهم كلمة في زيادة البيان لغرضي من كتابة هذه الصحائف

لقد كررت نفسي أثناء كتابتي هـذا السؤال : وهو لماذا أكتب أنا هذا الكتاب دون سائر الناس ؟ هل هناك مبرر لرجل مثلي لم يتعلم الطب ولم يتقن ـ كما لايخفى ـ المسائل التي جاءت في هذه المباحث أن يحاول تأليف مثل هذا الكتاب ؟

ان عذري في ذلك هو أن علم الطب نفسه مبني على تجارب وعلم ناقص وأكثره تخرص محض . وهذا الكتاب [illegible] حال ساقني اليه أطهر الاسباب وأقدسها . اني لم أبذل جهدي في بيان المعالجات للامراض مثل مابذلت لبيان طرق الوقاية منها. وان قليلا من [illegible] الأمراض أمر سهل بالنسبة (الى تشخيص الامراض [illegible]) وان كان العمل بهذه الاصول ليس بهين بلاريب . كان غرضنا أن نبين اتحاد الاصول والعلاج لجميع الأمراض ، ليعرف الناس معالجة أنفسهم بانفسهم اذا دهمتهم الامراض كما يحصل كثيراً مع تنبه كبير لمراعاة أصول الصحة

وهنا يرد سؤال : هل الصحة الجيدة ضرورية الى هذا الحد حتى يهتم لها هذا الاهتمام الكبير ؟ ان سيرتنا المعاشية تثبت أننا لانقيم للصحة وزنا كبيراً ولكننا ان كنا نرى الصحة التمتع والتلذذ بالشهوات أو لنفتخر بحسن جسمنا ونعده غاية من حيث هو هو فأحسن بكثير في هذه الحالة أن تشوه أجسامنا بلحم رديء بالسمن المفرط وما شاكله من المشوهات والمفسدات له .

إن الاديان كلها متفقة على عد الهيكل الانساني مسكناً لله سبحانه وتعالى . إن الرب قد وهبنا الجسم لنستعمله في طاعته ونعبده به عز وجل عبادة خالصة لوجهه ، ولذلك وجب أن نحافظ على طهارته ، وأن لانتركه عرضة للرجس ظاهراً ولا باطنا ، لنرجع به اذا جاءت ساعة الرجوع إلى موهبه سبحانه في نفس الحالة

التي أخذناه فيها . اذا نحن وفينا بشروط المعاهدة لرضاء الرب فهو بلا ريب يجازينا ويجعلنا الوارثين لدار البقاء .

إن أجسام سائر المخلوقات الحية قد وهبت القدرة وأعطيت آلات الاحساس كالبصر والسمع والشم وغيرها من الحواس . ولكن الجسم الانساني قد فضل عليها جميعاً ، ولذلك نسميه نحن الهنود « بالمعطي لسائر الخيرات » إن الانسان وحده يستطيع عبادة الله بالعلم والفهم . واذا خلت العبادة من الفهم فهي ليست بعبادة حقاء ومعلوم أن العبادة اذا بطلت يستحيل أن نجد المسرة الحقيقية .لا يمكن أن نستخدم الجسم في الخدمة حق الخدمة إلا اذا حسبناه معبداً لله وسخرناه لعبادته تعالى ، وإلا فهو ليس بأشرف من ظرف وسخ من العظام واللحم والدم بل الهواء الذي يخرج منه شر من السم . إن الاشياء التي تخرج من مسام الجسم وغيرها من السبل الدنسة التي لا نستطيع أن نمسها ، بل لا نتصورها بدون اشمئزاز ، ولا بد المحافظة عليها [illegible] من النار الكبير أن نعمد على الكذب والفسق [illegible] شهوات هذا الجسم الضعيف ؟ أو ليس من [illegible] الكبير المحافظة على هذا الجسم اللين لنتمكن من الدنا آت والفسوق ؟

إن هذه هي الحقيقة العارية لجسمنا . وان أحسن الاشياء وأنفعها أيضاً قد أودعت فيها قابلية لاظهار الشر والمصائب . ولولا ذلك لما سهل علينا أن نقدرها حق قدرها في قابليتها للصلاح والخير . فنور الشمس الذي هو منبع للحياة والذي لا نستطيع أن نعيش بدونه ساعة واحدة من الزمن ، يصلح لأن يحرق جميع الكائنات ويجعلها رماداً . ويقدر الملك أن ينفع رعاياه نفعاً عظيما كما يمكن أن يكون سبباً للعذاب الاليم ، كذلك يمكن أن يكون الجسم خادما جيداً ، ولكن اذا أصبح هو الحاكم فقوته للشر فوق كل حد .

ان بين العقل والشيطان حربا عوانا في أنفسنا للاستيلاء على جسمنا ، فان غلب العقل يصبح الجسم آلة نافعة للخير . واذا غلب الشيطان يصير مثاراً للشرور والفسوق . وإن جهنم نفسها تكون خيراً من الجسم المسخر للفسوق ، المملوء

بالأوساخ، المثير للروائح الكريهة، الذي نستعمل أرجله وأيديه في الاعمال القبيحة، الذي يستعمل فمه في أكل الاشياء التي يجب أن لاتؤكل، ولسانه في التكلم بأمور يجب أن لايتكلم بها، وعينيه في النظر الى الاشياء التي يحرم النظر اليها، وأذنيه في سمع الاشياء التي يحظر سماعها، وأنفه في شم الأشياء التي لاينبغي شمها. واذا كان لايوجد أحد يختار النار على الجنة فالعجب كل العجب أن حسبنا الجسم الذي جعلناه بأنفسنا أشر من جهنم حسنا كالجسم المطهر يستحق الجنة! ما أقبح كبرنا وزهونا! وما أحط ادرا كنا في هذا الامر! ان الذين جعلوا مثواهم كالكنيف لابد من أن يجنوا ثمر حماقتهم. وهكذا شأننا اذا كان جسمنا بالحقيقة في يد الشيطان ونحن نحسب أننا نتمتع فيه بالسعادة الحقيقية، فيجب أن لانلوم إلا أنفسنا اذا فاجأتنا العواقب المريعة التي لابد من وقوعها

والحاصل أن قصدنا في هذه الصحائف أن نعلم هذا الحق الاكبر، وهو أن الصحة التامة لايمكن نيلها بالمعيشة المخاصمة لسنن الإلهية والمضادة لنزغات الشيطان. ان المسرة الحقيقية مستحيلة بدون الصحة الحقيقية، والصحة الحقيقية مستحيلة بدون أن يملك الانسان نفسه ويتغلب على الهواء. ان الحواس كلها تخضع لنا بنفسها اذا تغلبنا على اللذة. ان من غلب على حواسه فقد غلب على الدنيا كلها، وأصبح جزءاً من الله تعالى. لايمكننا أن نعرف «راما» بقراءة «رمائن» أو «كرشنا» بقراءة «غيتا» أو «الله» بقراءة القران أو «المسيح» بقراءة الانجيل بل الطريقة الوحيدة لمعرفة هؤلاء المقدسين هي إيجاد اخلاق طاهرة عالية. وان الاخلاق لكنت يطبعها في النفس العمل الصالح. والعمل الصالح مبني على الاخلاص. فالاخلاص اذن هو المنبع والاساس الحقيقي لجميع الاشياء الكبيرة الحسنة فاذن البحث بدون خوف وتردد عن المثل الاعلى «الاخلاص» و «الصدق» هو مفتاح الباب الموصل للصحة الحقة كما هو مفتاح لكل شيء غيرها. واني إن نجحت — مهما كان مقدار نجاحي قليلا — في بيان هذه الحقيقة الكبرى لقرائي فأكون قد فزت بغيتي من تحرير هذه الصفحات

كمل الفراغ من الترجمة في ١٨ سبتمبر سنة ١٩٢٤ م

الطحال والكبد

هل هما دمان ؟

ذكر الفقهاء أن الدم حرام الا الطحال والكبد فإنهما يحل أكلهما ، وإن كانا من الدم . فهل هما من الدم حقيقة حتى يحتاج الفقهاء الى استثنائهما من حكمه ؟ نظن أن ذلك بعيد لغة وتشريحاً . وقبل إثبات ذلك نرى أنه لابد من الكلام على الحديث الذي ورد في سنن ابن ماجة وأوقع الفقهاء في هذا الخطأ اللغوي التشريحي لتبين قيمته كحديث

حديث ابن ماجة

قال ابن ماجة في باب الكبد والطحال حدثنا أبو مصعب حدثنا عبدالرحمن ابن زيد بن أسلم عن أبيه عن عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال « أحلت لنا ميتتان ودمان فأما الميتتان فالحوت والجراد وأما الدمان فالكبد والطحال »

وقال في باب صيد الحيتان والجراد حدثنا أبو مصعب عن عبد الرحمن ابن زيد بن أسلم عن أبيه عن عبد الله بن عمر أن رسول الله (صلعم) قال « أحلت لنا ميتتان الحوت والجراد »

درجة الحديث

قال البيجوري في حاشيته على ابن قاسم إن سند هذا الحديث ضعيف وصحح البيهقي وقفه على ابن عمر وقال حكمه حكم المرفوع . ولذلك قال في المجموع الصحيح أن ابن عمر هو القائل : أحلت لنا ميتتان الخ . وأنه يكون بهذه الصيغة مرفوعا

وسبب ضعف سند هذا الحديث أن فيه عبدالرحمن بن زيد الذي ضعفه رجال الحديث وقال الربيع: سمعت الشافعي يقول: سأل رجل عبدالرحمن بن زيد بن أسلم حدثك أبوك عن أبيه أن سفينة نوح طافت بالبيت وصلى خلف المقام ركعتين قال نعم . وذكر رجل لمالك حديثاً فقال من حدثك به ؟ فذكر إسناداً منقطعاً . فقال

اذهب الى عبد الرحمن بن زيد بن أسلم يحدثك عن أبيه عن نوح عليه السلام

فمثل هذا الرجل (عبد الرحمن بن زيد) الذي زعم أن سفينة نوح طافت بالبيت ماكان للفقهاء أن يجروا وراء حديثه السابق الذي جعل فيه الكبد والطحال من الدم مخالفاً بذلك لغة العرب وعلم تشريح الأعضاء كما خالف بحديثه عن سفينة نوح حكم التاريخ وبديهة العقل

الدم في اللغة

جاء في كتاب قطر المحيط للبستاني أن الدم سائل أحمر يسري في عروق الحيوان

الكبد والطحال في اللغة

جاء في لسان العرب أن الكبد لحمة سوداء في البطن . وأن الطحال لحمة سوداء عريضة في البطن لازقة بالجنب الأيسر . فالدم في اللغة من الاخلاط والكبد والطحال من اللحم ولا يخطر بقلب أحد أنهما من الدم حتى نحتاج الى استثنائهما من حكمه

الدم في علم التشريح

جاء في دائرة معارف البستاني أن الدم سائل لزج قليلا يحتو على كريات جامدة لاتحصى ولا ترى إلا بالنظارات المكبرة ، وأنه ليس في الجسم سائل مركب من مواد مختلفة مثله

الكبد والطحال في علم التشريح

جاء في قانون ابن سينا أن الكبد لحم أحمر كأنه دم لكنه جامد وهي خالية عن ليف العصب الخ وأن الطحال عضو مستطيل لساني متصل بالمعدة من يسارها الى خلف يجذب السوداء بعنق متصل بتقعيد الكبد الخ

فقد اتفق علم التشريح مع اللغة في أن الكبد والطحال ليسا من الدم وليس للفقهاء دليل على أنهما دمان الارواية ذلك الشيخ الضعيف عبد الرحمن بن زيد ومثله لايحتج بروايته المخالفة لما ثبت في اللغة وعلم التشريح ولبداهة العقل التي لا يسوغ فيها مثل ذلك

وقد يقال أن جعل الكبد والطحال من الدم في هذا الحديث المزعوم ليس على سبيل الحقيقة وانما الكلام فيه جار على التشبيه فنقول ان القلب وأعضاء كثيرة من الجسم تشبه الدم أيضاً فلو كان الكلام جاريا على التشبيه لذكر مع الكبد والطحال سائر ما يشبه الدم من الاعضاء على أن أسلوب الكلام بعيد عن التشبيه والمحرم في القرآن هو الدم الحقيقي لا ما يشبهه فلا وجه لاستثناء ذلك منه. ولذا لم يفهم الفقهاء الحديث الاعلى وجه الحقيقة، وحكموا بأن الكبد دم متجمد ولم يذكروا شيئاً في الطحال لان المخالفة فيه أصرح فما أحرانا أن نزيل مثل هذا من كتب الفقه إنصافاً للحقيقة والعلم؟

عبد المتعال الصعيدي
المدرس بالجامع الأحمدي

(المنار) حديث الميتتين والدمين رواه الشافعي وأحمد وابن ماجه والدارقطني من طريق عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن ابن عمر مرفوعا. وعبد الرحمن ضعيف متروك وقال أحمد حديثه هذا منكر. ورفعه أيضا أخواه عبد الله وأسامة وقد ضعف الثلاثة ابن معين وعليه الجمهور قال الحافظ ابن حجر [illegible] أضعفهم وهو أبو هاشم كثير بن عبد الله الابلي. ورواه المسور بن الصلت عن حديث أبي سعيد والمسور كذاب. ورواه الدارقطني من طريق [illegible] وقال وهو أصح أو قال أصوب. وصحح الموقوف [illegible] الجمهور ورواه عن زيد دون أولاده الثقة [illegible] ابن ابي شيبة: لا بأس به وليس ممن يعتمد على حديثه. وقد قال الحافظ في التلخيص ان مثل هذا الموقوف حكم المرفوع لان قول الصحابي: أحل لنا وحرم علينا كقوله امرنا بكذا ونهينا عن كذا. أي وهذا أخذ الفقهاء به وان لم يصح رفعه ، اقول فاذا سلمنا هذا ولم نعتد بما ذكرنا من الطعن في سليمان فانا نأخذ بما فيه من حل الاربعة ولا يمكننا ان نجزم بأن التعبير بالدمين من قول ابن عمر أو من قول زيد . وحل الكبد والطحال لا يتوقف على هذه الرواية فانهما من جنس اللحم كغيرهما من اجزاء الحيوان وكانوا يأكلونها وقد حصر نص القرآن المحرمات في الميتة والدم المسفوح ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به. والمسفوح السائل المهراق وليس في لغة ولا عرفاً في كتب اللغة التعبير عن كل منهما بأنه دم صفته كذا وكذا . وعندي ان التعبير عنها بالدمين لما يتخللهما من الدم الكثير وقد نص الفقهاء على العفو عما يتخلل اللحم من دم قليل فلعل مراد ابن عمر انه أحل لنا ما يتخلل الكبد والطحال من الدم وان كان كثيرا لتعذر إزالته اولانه لا يصح ان يكون دماً مسفوحاً. فلا حاجة الى القول بأنهما دم متجمد فمن المعلوم بالقطع انهما لم يكونا دماً عبيطاً سائلا ثم جمد ، بل تكونا في الحيوان بقدرة الله تعالى كتكون غيرهما من الاعضاء لوظائف اقتضتها الحكمة الالهية ، وان كانت وظيفة الطحال أخفى من وظيفة الكبد عند الاطباء ، والله أعلم

وجوب الحج

جاءتنا هذه الرسالة من الأستاذ صاحب الامضاء (مهاراج) إمام مسلمي جزيرة من ريو (جوم) يحذر فيها المسلمين في جاوه وما يليها مما يسعى إليه بعض زعماء الشبيبة وشوكت تجي ومحمد علي زعيمي السياسة الهندية من اقناع المسلمين بترك الحج وهدم هذا الركن الاسلامي العظيم ، ويبين لهم ان استحلال هذه الدعوة واجابتها كفر وردة عن الاسلام ، قال أثابه الله تعالى

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

حضرة أستاذنا العلامة المصلح الكبير السيد محمد رشيد رضا صاحب المنار الاسلامي نفعني الله والمسلمين بعلومه ومنافعه

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، أما بعد فقد كتبت مقالة باللغة الملاوية أنشرها في جر[illegible]

قد علم كل مسلم أن الحج ركن من أركان الاسلام الخمسة يجب مرة واحدة في العمر على كل مسلم عاقل بالغ حر استطاع اليه سبيلا لقوله تعالى (ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا) قال الامام ابن جرير الطبري في تفسيره : يعني بذلك جل ثناؤه ، وفرض واجب على من استطاع من أهل التكليف السبيل إلى حج بيته الحرام الحج اليه . واختلف أهل التأويل في تأويل قوله عز وجل (من استطاع اليه سبيلا) وما السبيل التي يجب مع استطاعتها فرض الحج . فقال بعضهم هي الزاد والراحلة . ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال : ثنا محمد بن بكر قال أخبرنا ابن جريج قال : قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : من استطاع اليه سبيلا قال الزاد والراحلة ... عن الحارث عن علي عن النبي ﷺ قال « من ملك زاداً وراحلة تبلغه إلى بيت الله فلم يحج فلا عليه أن يموت يهوديا أو نصرانيا » وذلك أن الله عز وجل يقول في كتابه (ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا) الآية[1] . وفي رواية عن الحارث عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه

(١) ومحل الشاهد قوله تعالى بعد ما ذكر (ومن كفر فان الله غني عن العالمين)

قال: قال رسول الله ﷺ « من ملك زاداً وراحلة فلم يحج مات يهوديا أو نصرانيا؟ » وأولى الأقوال في ذلك عندنا بالصواب قول من قال بقول ابن الزبير وعطاء أن ذلك على قدر الطاقة لأن السبيل في كلام العرب الطريق، فمن كان واجداً طريقاً إلى الحج لا مانع له منه من زمانة أو عجز أو عدو أو قلة ماء في طريقه أو زاد أو ضعف عن المشي فعليه فرض الحج لا يجزيه إلا اداؤه، فان لم يكن واجداً سبيلا ــ أعني بذلك فان لم يكن مطيقاً الحج بتعذر بعض هذه المعاني التي وصفناها عليه ــ فهو ممن لا يجد اليه طريقاً ولا يستطيعه لأن الاستطاعة إلى ذلك هو القدرة عليه، ومن كان عاجزاً عنه ببعض الاسباب التي ذكرناها أو بغير ذلك فهو غير مطيق ولا يستطيع اليه السبيل. وانما قلنا هذه المقالة أولى بالصحة مما خالفها لأن الله عز وجل لم يخصص اذ ألزم الناس فرض الحج بعض مستطيعي السبيل اليه بسقوط فرض ذلك عنه، فذلك على كل مستطيع اليه سبيلا بعموم الآية. فأما الأخبار التي رويت عن رسول الله ﷺ في ذلك بأنه الزاد والراحلة فانها أخبار في أسانيدها نظر لا يجوز الاحتجاج بمثلها في الدين. اهـ باختصار

لو قال قائل هل توجد الآن طريق إلى الحج أم لا؟ وهل فيها أمان أم لا؟ قلنا: نعم بناء على أخبار من سافروا في العام الماضي (عام ١٣٤٤) من الحجاج الجاويين وغيرهم إلى الحجاز (مكة والمدينة) لأداء فريضة الحج إلى بيت الله الحرام وزيارة قبر نبينا محمد ﷺ في المدينة المنورة فانهم وجدوا طريقاً إلى الحج وزيارة النبي (ص) ولم يروا فيها إلا مايسر خاطرهم ويقر أعينهم فقد أدوا ما عليهم من فريضة الحج بالتمام كما أمر الله تعالى به ورسوله ﷺ وزاروا قبر النبي ﷺ وقد فعلوا ماشاؤا من العبادات فلم يحصل لهم شيء من أذى لا في أبدانهم، ولا أموالهم ولا، ولا .... كما أن أمثال هذه الاخبار سمعنا بها من الجرائد والمجلات الجاوية والملاوية والعربية.

ولذلك تعجبت مما ذكره الاستاذ صاحب المنار في كتابه إلي من قوله وهذا نصه: وسمعت أمس من داعية التشيع في جاوه أنه جاءه مكتوبات منها أو من

سنغافوره تخبره بأنه تألف مؤتمر من أربعين جمعية من الجمعيات الاسلامية وقرروا الدعوة إلى ترك الحج مادام ابن السعود ملكا في الحجاز — انتي لم أصدقه في قوله كما أنني لا أجزم بأن الخبر ليس له أصل البتة أم الخ . وقد أخبرت الاستاذ المصلح الغيور بأن هذا الخبر غير صحيح فانا لم نسمع بهذا المؤتمر أصلا[1] بل انا سمعنا من جزائر جاوه وسومطرا وبورنيو من كل بلد أن من أرادوا السفر إلى الحجاز هذا العام لأداء فريضة الحج إلى بيت الله الحرام في مكة المكرمة وزيارة قبر النبي ﷺ في المدينة المنورة ، كثيرون جداً أكثر من العام الماضي .

ومع ذلك أقول لو وجد أحد مسلم أو غير مسلم أو مؤتمر مهما كانت صفته يدعو إلى ترك الحج لكون ابن السعود ملكا في الحجاز فاني أنصح لكل مسلم أن لايسمع قوله ولا يلتفت اليه فانه شيطان أو دجال وليس هو مؤمناً حقاً . وهل يجوز في دين الاسلام أن يترك الحج الذي هو ركن من أركان الاسلام الاجتماعي العام لان ابن السعود ملك في الحجاز [illegible] أو استحلاله أو تجويز ترك فريضة الحج لأن ابن السعود ملك في الحجاز [illegible] الاسلام ، بل قال الاستاذ السيد صاحب المنار : بل قال بعض أهل السنة ان ترك الحج كفر مطلقاً لظاهر آية آل عمران أه . ذلك بأن ابن السعود ليس مانعاً لمن أراد أن يؤدي هذه الفريضة ويقوم بما عليه من المناسك وغيرها من أنواع العبادات . ولكنه ليس قاصراً على ذلك فقط ، بل آمن طرق الحجاز حتى يسهل على الحجاج أداء فريضة الحج والسفر إلى زيارة قبر النبي وقبور أصحابه عليه وعليهم الصلاة والسلام . وكانت هذه الطرق قبل أن صار ابن السعود ملكا في الحجاز فما سمعنا فيها إلا النهب والاعتداء على الحجاج وغيرهم من سالكيها

(١) المنار : تبين أن المؤتمر الذي تألف من ممثل الجمعيات الاسلامية الاصلاحية كلها وعددها ٤٠ أو أكثر قد قرر تأليف لجان في جميع بلاد جاوه وسائر جزائر الهند الشرقية لبث الدعوة الى الحج واحباط مساعي الروافض لهدم ركن الاسلام الاجتماعي الاعظم ، وقرر جمع تسعة آلاف جنيه لاجل مؤتمر الحجاز وأثنى على ملك الحجاز مقيم السنة أجل الثناء كما بينا ذلك في الجزء الثامن من المنار

كيف لا وإن جلالة الملك المعظم عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل ملك الحجاز وسلطان نجد هو مسلم مؤمن شديد التمسك بالدين الاسلامي وكذا أهل بلده الذين نبزوا بالوهابيين فانهم مسلمون من أهل السنة والجماعة ، وإنهم في فروع الاحكام الشرعية على مذهب الامام احمد بن حنبل رحمه الله تعالى فلا يجوز لأحد أن يطعن في دينهم وإن كانوا مخالفين لمألوفات أكثر الناس من بناء القبور وتجصيصها واتخاذ السرج عليها وطلب الحاجات من أهلها . فهؤلاء الوهابيون يهدمون القباب على القبور لما رواه مسلم في صحيحه عن أبي الهياج الاسدي قال قال لي علي : « ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ أن لا تدع تمثالا إلا طمسته ، ولا قبراً مشرفا إلا سويته » وقال الامام الشافعي في كتابه (الام) إن ولاة مكة كانوا يهدمون ما بني في مقبرتها من القبور ولا يعترض عليهم الفقهاء . ونقله عنه النووي في شرح مسلم ... ورد في هذا المعنى من الاحاديث .

أيها الاخوان المسلمون اتفقوا ولا تفرقوا ولا يعاد بعضكم بعضاً وإن كنا مختلفين في المذاهب الشافعي ، والحنفي ، والمالكي ، والحنبلي ، وذلك لاختلاف الافهام في مسألة من المسائل الدينية أو غير الدينية . وربما يكون ذلك الاختلاف في شيء من تلك المسائل مما لم يرد فيه نص من كتاب ، أو سنة ، بل هو مما هو مجال لاجتهاد المجتهدين . وليتذكر المسلمون ضرر التنازع كما قال تعالى « ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم »

هذا وأنه يجب على المسلمين أن يشكروا جلالة الملك عبد العزيز ملك الحجاز وسلطان نجد على ما فعله من الخيرات للحجاز والحجازيين ونشر الامن في جميع بقاعه ، وقد جاء في الخبر النبوي « لا يشكر الله من لا يشكر الناس » رواه أحمد وأبو داود والترمذي وحسنه

سمبس في ١٦ جمادي الاولى سنة ١٣٤٥

٢٢ نوفمبر ١٩٢٦ محمد بسيوني عمران

باب الانتقاد على المنار

(تتمة القول في مسألة الجسد الذي ألقي على كرسي سليمان عليه السلام)

ذكرنا في الجزء الماضي خلاصة في المسألة من أقوال أشهر مفسري القرآن المجيد الذين طبعت كتبهم واستنار بها العالم في فهمه وهي مصرحة فيما كتبناه في بعض فتاوينا المختصرة من غير بحث ولا مراجعة

وما ذكروه من مفاسد الروايات المأثورة في تدخل الشيطان في أمر ملك سليمان ظاهر وفيما مالم يذكروه أيضاً من مخالفة القرآن والعقل والتاريخ ولا محل لبسطه هنا وإنما محله تفسير الآيات الواردة في ملك سليمان وهو ما وعدنا بتحقيقه فيه إذا شاء الله تعالى وأنسأنا في الأجل

وإنما أذكر القاري هنا بما ورد من الآيات الناطقة بأن الله تعالى لم يجعل للشيطان أدنى سلطان على عباده المخلصين وإنما سلطانه على من اتبعه من الغاوين والكافرين وهذا السلطان عليهم هو سلطان [illegible] (بضم الميم وكسرها) والمثل بصور الملوك والحكام وإدارة أمور الأمم [illegible] وقد وردت هذه الآيات في سياق خلق آدم وإبليس واستعداد جنس كل منهما في بيان سنة الله التكوينية في خلق الجنسين

قال تعالى في سورة الحجر بعد ذكر خلقهما بالتفصيل (١٥ : ٣٩ قال رب بما أغويتني لأزينن لهم في الارض ولأغوينهم أجمعين ٤٠ الا عبادك منهم المخلصين ٤١ قال هذا صراط علي مستقيم ٤٢ ان عبادي ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين) وفي سورة النحل التي بعدها (١٦ : ٩٩ انه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون ١٠٠ إنما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون) فهل يقول اخونا الشيخ عبد الرحمن الحجوي ان نبي الله سليمان عليه السلام من عباد الله المخلصين الذين ليس للشيطان عليهم أدنى سلطان من أي نوع كان من أنواع السلطان كما يقتضيه نص الكتاب المنزل بصيغة النكرة في سياق النفي وبصيغة الاثبات بعد النفي بالاستثناء الذي هو معيار العموم وهي أقوى صيغ الحصر ثم بالحصر بإنما التي هي لما صار معلوما أو شأنه أن يكون معلوما مقرراً كما افاده الامام عبد القاهر الجرجاني في دلائل الاعجاز ؟ ـ ام يقول اخونا وناصحنا المذكور ان نبي الله سليمان من اتباع الشيطان الغاوين الذين يتولونه والذين هم به مشركون ؟ ـ اي يجعلونه شريكا لله تبارك وتعالى في التصرف

في عباده » لاشك في ان اخانا المذكور يقول بالاول - واذا يجب عليه ان يرد جميع تلك الروايات الاسرائيلية المضلة كما ردها محققو المفسرين كالرازي والبيضاوي والطوفي وابو حيان التوحيدي وابن كثير وأبو السعود العمادي والآلوسي. وان يجزم بما جزم به ابو حيان من أن قصة الشيطان في استيلائه على ملك سليمان من اوضاع اليهود والزنادقة وما صرح به الحافظ ابن كثير من انها « كلها من الاسرائيليات » وإن رواها بعض مفسري السلف فان ابن كثير صرح بروايتها عنهم وقال مع ذلك: « وكلها متلقاة من قصص اهل الكتاب »

ثم ليعلم أن شر رواة هذه الاسرائيليات او اشدهم تلبيسا وخداعا للمسلمين هذان الرجلان اللذان ترك زراعته للاطالة في الدفاع عنهما تلك المقالة الواهية التي ذكرها من قبل : كعب الأحبار ووهب بن منبه. فلا تجد خرافة دخلت في كتب التفسير والتاريخ الاسلامي من امور الخلق والتكوين والانبياء واقوامهم والفتن والساعة والآخرة الا وهي منهما مضرب المثل « في كل وادٍ اثر من ثعلبة »

ولا يروّلنه اغترار بعض الصحابة والتابعين [illegible] من هذه الاخبار فان تصديق الكاذب [illegible] ولا المعصومين من الرسل فان العصمة إنما تتعلق بتبليغ الرسالة والعمل بها فالرسل معصومون من الكذب ومن الخطأ في التبليغ ومن العمل بما ينافي ماجاؤا به من التشريع، لأن هذا ينافي القدوة، ويخل باقامة الحجة ، ولكن الرسول اذا صدق الكاذب في أمر يتعلق به وبصاله أو بمصلحة الامة فان الله تعالى يبين له ذلك ومنه ما كان من بعض ازواجه الذي نزل فيه أول سورة التحريم ، وعلم من قوله تعالى فيها (قالت من انبأك هذا؟ قال نبأني العليم الخبير) انه لم يعلم المكيدة بتلك القصة بل يوحي الله تعالى بعد وقوعها . ومنه قوله تعالى فيما كان كذب عليه بعض المنافقين الذين اعتذروا عن الخروج معه (ص) الى تبوك (عفا الله عنك لم أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين)

واما مانقله عن الزرقاني من رأيه ان ماروي عن الصحابي مما لامجال للرأي فيه موقوفا عليه فانه له حكم المرفوع « وان احتمل اخذ الصحابي له عن أهل الكتاب تحسينا للظن به » فهو رأي باطل مردود عليه لا نتخذه قاعدة واصلا في ديننا وما علله به ظاهر البطلان اذ لا محل هنا لتحسين الظن ولا لمقابله ، فمن المعتاد المعهود من طباع البشر أن يصدقوا كل خبر لا يظهر لهم دليل على تهمة قائله فيه ولا على بطلانه في نفسه فاذا صدق بعض الصحابة كعب الاحبار في بعض مفترياته التي

كان يوهمهم انه أخذها من التوراة او غيرها من كتب أنبياء بني اسرائيل وهو من أحبارهم او في غير ذلك فلا يستلزم هذا اساءة الظن فيهم . واذا كانت هذه الخرافات الاسرائيلية مما يصد عن الاسلام ويجري الالسنة والاقلام بالطعن فيه مع العلم بانها مروية عمن لا نعد أقوالهم ولا آراءهم نصوصاً دينية ولا ادلة شرعية وان كانوا من أفراد علماء السلف ـ كما هو واقع بالفعل ـ فكيف يكون موقفنا مع هؤلاء الطاعنين فيه من الملاحدة ودعاة الأديان المعادين للاسلام والمسلمين من زنادقة المسلمين أيضاً اذا قلنا ان كل تلك الترهات والخرافات الاسرائيلية اذا كان بعض رواتها من الصحابة فانها تنتظم في سلك الاحاديث المرفوعة الى النبي (ص) ويجب الايمان بها ؟ الا ان هذا باب واسع في الطعن في الاسلام والصدعنه لو فتحه علينا من هو أكبر من الزرقاني من مقلدة القرون الوسطى المظلمة لأغلقناه في وجهه، وقلنا له ان علماء الاصول قد اتفقوا على ان طروء الاحتمال في المرفوع من وقائع الاحوال، يكسوها ثوب الاجمال ، فيسقط بها الاستدلال ، وهذا الاحتمال أولى من ذلك الخ يتبع عد الموقوف مرفوعاً وجعله [illegible]

والصواب في هذه المسألة [illegible] الموقوف وكذا بعض المرفوع الذي لم يصرح الصحابي [illegible] كان يروي عن كعب الاحبار وأمثاله هذه الاسرائيليات معلولين باحتمال كونهما من سرائيليات اذا كانا من موضوعها ومتنهما مخالفا لبعض النصوص الثابتة كآيات القرآن في نفي سلطان الشيطان على عباد الله تعالى او معارضا لغير ذلك من أصول الشرع او فروعه الثابتة أو لسنن الله في خلقه أو لغير ذلك من الادلة القطعية. ويرى الجحمودي وغيره شيئاً من تفصيل هذا البحث في تفسير آية الساعة من هذا الجزء وما بعده.

الملاحظة الثانية مسألة بلعام بن باعورا

أنكر المنتقد علينا رفض ماروي عن بعض رواة التفسير المأثور في تعيين الرجل الذي آتاه الله آياته فانسلخ منها بأنه بلعام بن باعورا بانه مروي « عن بعض أجلاء الصحابة الذين شهدوا الوحي والتنزيل » وأيده بما نقله عن الزرقاني واجبنا عنه آنفا

ثم انكر علينا قولنا ان ابن جرير شيخ المفسرين لم يعتد بهذه الروايات وقال انه راجع ابن جرير فلم يهتد فيه الى « عبارة يؤخذ منها عدم اعتداده بهذه الاحاديث » وانما عبرنا عنها بالاحاديث بناء على ماذكره من عد موقوفات الصحابة في حكم الاحاديث المرفوعة وان احتمل انها من الاسرائيليات-

ونقول في جوابه إننا لم نتقول عليه ولكنه هو لم يفهم عبارته على صراحتها في عدم الاعتداد بكون الذي آتاه الله آياته فانسلخ منها هو بلعام وهو هو نفسه قد روى عن عبدالله بن مسعود وعبدالله بن عمرو وعبد الله بن عباس وعن بعض تلاميذه كمجاهد وعكرمة أنه بلعام، وكان أعلم منه ومن الحاكم النيسابوري ومن الزرقاني بقيمة الصحابة رضي الله عنهم من شهود الوحي، وبما قال العلماء في الحديث الموقوف وهو من أنتهم. ونحن ندله على هذه العبارة التي يظهر انه لم يفهمها لاشتغال فكره بالزراعة وهي في الصفحة ٨٤ من الجزء التاسع من تفسيره المطبوع بالمطبعة الاميرية. قال بعد سوق الروايات في أن الرجل المبهم هو بلعام والخلاف في كونه من بني اسرائيل أو من اليمن والروايات في كونه أمية بن أبي الصلت مانصه:

(قال أبو جعفر): والصواب من القول في ذلك ان يقال ان الله تعالى ذكره امر نبيه (صلى الله عليه وسلم) ان يتلو على قومه خبر رجل كان الله آتاه حججه وأدلته وهي الآيات وقد دللنا على أن معنى الآيات الادلة والاعلام فيما مضى بما أغنى عن اعادته وجائز أن يكون الذي كان الله آتاه ذلك بلعام وجائز أن يكون أمية وكذلك الآيات ان كانت بمعنى الحجة التي هي بعض كتب الله التي أنزلها على بعض أنبيائه فتعلمها الذي ذكره الله في هذه الآية وعناه بها فجائز أن يكون الذي كان أوتيها بلعام وجائز أن يكون أمية. لان أمية كان فيما يقال قد قرأ من كتب أهل الكتاب. وان كانت بمعنى كتاب انزله الله على من أمر نبي الله عليه السلام ان يتلو على قومه نبأه او بمعنى اسم الله الاعظم او بمعنى النبوة فغير جائز ان يكون معنيا به امية لان امية لا تختلف الامة في انه لم يكن أوتي شيئا من ذلك، ولا خبر بأي ذلك المراد، وأي الرجلين المعني يوجب الحجة، ولا في العقل دلالة على ان ذلك المعني به من اي، فالصواب ان يقال فيه ماقال الله ويقر بظاهر التنزيل على ماجاء به الوحي من الله» اهـ بحروفه

فهذا الكلام صريح في ان ابن جرير قال «انه لاخبر بأي ذلك المراد واي الرجلين المعني يوجب الحجة» أي لا يوجد حديث نبوي يحتج به في تعيين الرجل الذي آتاه الله آياته، ثم قال: ولا في العقل دلالة على ذلك أي وإذ انتفى الدليلان النقلي والعقلي «فالصواب ان يقال فيه ماقال الله ويقر بظاهر التنزيل على ماجاء به الوحي من الله»

وهذا عين ما اخترناه واعتمدناه في تفسيرنا للآية وان كنا كتبناه في زمان ومكان لانملك فيهما شيئاً من كتب التفسير، وبهذا يعلم اخونا الجمجموني مكانه من

النقد الذي تكلفه وترك زراعته لاجله ، ويعلم انا كرمناه بنشر نقده على نهافته وتبوكه فيه اولا وآخراً ، وقد لامنا بعض اهل العلم والفهم على نشر انتقاده الاول وسيشتدون في لومنا على نشر هذا أيضاً، وهو آخر ما ننشره له من هذا القبيل، على أننا توسلنا به لكشف الشبهة عنه وعن أمثاله في مسألة الاحاديث الموقوفة. والاسرائيليات السخيفة . وقد سنحت لنا بعد البدء بنشر نقده والتعليق عليه مناسبة أخرى لبيان الحق في هذه المسألة وهي الروايات في أشراط الساعة فاكتفينا بما كتبنا مما كنا ننوي أن نطيل به ونسأله تعالى أن يرينا الحق حقاً ويوفقنا لاتباعه. ويرينا الباطل باطلا ويحفظنا منه قولاً وعملا واعتقاداً .

(أثر المقتطف في نهضة اللغة العربية بالعلم)

الخطبة التي ألقاها صاحب [illegible] في [illegible] عيد المقتطف الذهبي التي أقيمت بدار (الاوبرا) الملكية في ٣٠ ابريل سنة ١٩٢٦

سادتي الافاضل — [illegible] أول من اقترح الاحتفاء بالمقتطف عند ما يتم الخمسين من عمره ، إذ كان هذا منذ عشر سنين ، واحمد الله تعالى أن اقتراحي قد تحقق ، ورغبتي قد استجيبت ، وأنني كنت عضواً في اللجنة التي نشرت الدعوة إلى هذا الاحتفال ووضعت النظام له

على اني صرت أكره الاحتفالات بعد أن أصبحت «مودة» تقليدية تقام لكل انسان له بعض الانصار والمحبين سواء عمل ما يستحق الاحتفاء به او لم يعمل ، وهو أمر تضيع به فائدة الاحتفاء ، ويصير عنتاً يلقيه أدبية لجماعات من الناس ، وكان ينبغي أن لا يحتفل الا بأصحاب الاعمال النافعة للامة

صار الناس يتنافسون في إقامة احتفالات عظيمة الحفاوة ببعض الوجهاء أو الادباء لا ينقصها الا اشتراك الملوك فيها ، وحفلتنا هذه تمتاز باشتراك جلالة مليكنا المعظم فيها بجعلها تحت رعايته وندب دولة رئيس ديوانه العالي لنيابته فيها — وتمتاز أيضاً باشتراك بعض الجماعات والجاليات العربية في الاقطار البعيدة وبعض المدارس العالية فيها

ان الاحتفال والتحاشد على الحفاوة بالعامل المفيد للامة بعمله ضرب من ضروب الشكر العام ، والشكر للمحسن مدعاة للمزيد من الاحسان، وحافز للهمم

وباعث لها على اتقان الاعمال، كما أن شكر أهل المظاهر وإن أساؤوا مثبط للهمم، وصاد للدهماء عن خدمة الامة، وسبب للغرور بالباطل، وفي الحديث الشريف «المتشبع بما لم يعط كلابس ثوبي زور [1]»

قد أحيا ملك مصر باشتراكه في عيد المقتطف سنة من سنن خيار ملوك الاسلام المتقدمين، جرى عليها من بعدهم ملوك أوربة المتأخرون، في تكريم العلماء لاعلاء منار العلم والحث على النبوغ فيه، فقد حكي عن بعضهم (ملكشاه أو غيره) أنه كان اذا نبغ عالم في عهده يقيم له احتفالا لما يمشي فيه ذلك العالم ومن حوله من عظماء الدولة والامة من الوزراء والعلماء، وأمامهم بعض الجياد من خيل الملك وعليها شارته الملكية (الارمة أو الامرة الرسمية) للاشعار باشتراكه في الاحتفال وأمره بالحفاوة بذلك العالم

وقد نبغ بتأثير هذه العادة في تكريم العلماء [illegible] الاقران فكان من شأن الملك في المبالغة والعناية بتكريمه أن مشى هو في الحشد الحفل ووضع تلك الشارة الملكية على عاتقه بدلا من وضعها على [illegible]، فقيل له في ذلك فقال إن هذا العمل [illegible] الامة [illegible] العلاوة الكبير، وقد كان ذلك

انا قد اجتمعنا اليوم لاقامة هذه السنة الاجتماعية، اجتمعنا لنثني على اثارة علمية نافعة لامتنا العربية، ثبت العامل عليها نصف قرن كامل، هذا العمل هو مجلة المقتطف العلمية الصناعية الزراعية التي انشأها العالمان العصريان الكبيران: الدكتور يعقوب صروف والدكتور فارس نمر منذ خمسين سنة وقد أحسنا فيها خدمة هذه الامة من وجوه. عهد الي زملائي أعضاء لجنة الاحتفال ان أقول كلمة وجيزة في أحد تلك الوجوه وهو «أثر المقتطف في نهضة اللغة العربية بالعلم» وهو موضوع واسع لا يوفى حقه وتبلغ غايته الا بتأليف سفر كبير، واني مهما أوجزت القول لا أستطيع بيان المسائل التي يصح أن تكون فهرسا لهذا السفر، وحسبي أن أشير الى ما خطر في بالي منها اليوم عندما فكرت في موضوع خطابي، وهو يدخل في خمسة أبواب لا يبيح لي الوقت المقدر لكل منا (خطباء الحفلة وشعرائها) تجاوز عتبة باب منها، فاكتفي بذكرها

(1) الحديث رواه البخاري ومسلم من حديث أسماء بنت أبي بكر، ومسلم من حديث أختها عائشة أم المؤمنين، ورفعاه كلاهما الى النبي (ص)

الباب الاول : حاجة أمتنا العربية في حياتها الاجتماعية والاقتصادية — أو حياتها العصرية — الى العلوم والفنون الكثيرة ، اذ لا يعرف قيمة خدمة المقتطف للعلم الا الذين يشعرون بهذه الحاجة

الباب الثاني : كون هذه العلوم والفنون لا تفيدنا الفائدة التامة الا اذا أخذناها باستقلال الفكر والاجتهاد في الحكم ، بحيث تصير ملكات راسخة في الامة ، وأما حشو الاذهان بالالفاظ والمصطلحات وشغل العقول بحفظ بعض المسائل تقليداً لمن نقلت عنهم قد يكون ضرره أكبر من نفعه

الباب الثالث : توقف هذا الاستقلال في العلم واجتناب التقليد الصوري فيه على تلقيه بلغة الامة حتى يكون ملكة من ملكاتها التي تصدر عنها أعمالها

الباب الرابع : اشتراع الطريق الموصل لجعل لغة الامة تتسع لهذه العلوم والفنون وما يتجدد منها في كل آن

الباب الخامس : بضرب الامثال المعروف بين تعلم العلوم بلغة الامة وتعلمها بلغة أجنبية ، وبين الاستقلال الذي تكون به العلوم والفنون ملكات في أنفس الامة وصناعات في أيديها ، والتقليد الذي حظ صاحبه حفظ بعض الاصطلاحات والمسائل التي قد يذهب بها النسيان ، ولا تؤتي كل مايراد بها من الاعمال ، وانني أشير الى مثل واحد يغني عن أمثال كثيرة

أيها السادة — انني لم أتعود الاطراء والمدح الشعري ولا المبالغات الخطابية التي تثير الاعجاب ، وتبعث على التصفيق والهتاف ، وانما انا كاتب محب الحقيقة مشغوف بالتصريح بها وان لم يرض به الا القليل من الناس . فاستأذنكم بأن أقول ما اعتقد في اشتغال أمتنا المصرية العربية بالعلم ، أقول ان تلقيه بلغة أجنبية جعله تقليديا لاغناء فيه ، ولا ترتقي البلاد به الى ماتبتغيه ، وهو أن يكون العلم ملكة في أنفس الامة وصناعات في أيديها ، إنه قلما يوجد فينا من يسمى عالما بكل مايفهم أهل الغرب من معنى هذا اللقب ، ويوجد في الامة اليابانية ما لا يحصى من العلماء المماثلين لعلماء أوربة في كشف الحقائق والاختراعات ، وذلك أنهم نقلوا العلوم والفنون الى لغتهم، وتلقوها تلقيا استقلاليا فكانت ملكات في أنفس الامة وصناعات في أيديها ، مع محافظتهم

على جميع مقوماتها ومشخصاتها الملية ، وأزيائها وعاداتها الوطنية ، فهذا سبب فوزهم بما تفز به من ثمرات العلوم والفنون مع أناس قنام الى اقتباسها بعشرات السنين ، ولهذا نرى رجال التربية والتعليم عندنا قد شرعوا بتلافي هذا الخطأ في عهد الاستقلال لو أننا نقلنا العلوم والفنون الى لغتنا العربية لكان انتشار المقتطف والاستفادة منه أضعاف ما نعلم الآن ، ويمكنني أن أقول إن المقتطف لم يقدر قدره ، ولم ينتشر الانتشار الذي يستحقه بعنايته في نقل العلم الى لغة الامة

ان صاحبي المقتطف قد هيأهما القدر ليكونا ركناً من أركان النهضة العلمية العربية فيلغا منها الغاية المعروفة لأهلها ، ولم يكن لهما ولا لأمثالهما ولا لمن تعلما سعي فيما أسندناه الى القدر الالهي ، وهذا بيانه بالاجمال :

زين لبعض أغنياء الاميركان أن يؤسسوا في بيروت مدرسة كلية يتوسلون بها الى الدعوة إلى مذهبهم الديني بنشر العلم والتربية الاميركانية الاستقلالية ، وأن يجعلوا التعليم فيها بلغة الامة السورية وهي العربية ، فعملوا خلافاً لعادة أمثالهم من مؤسسي المدارس في الشرق الذين يشرحون في إحياء لغاتهم وإماتة لغة البلاد ، وجعل العلم الجديد فيها تقليدياً ضعيفاً لا يرجى بلوغ الكمال فيه ، ولا يثمر جميع الثمار المقصودة منه

وكان من حسن التوفيق أن وجد في أساتذة هذه المدرسة من أحب العرب والعربية وسورية والسوريين حبا خالصا غير مشوب بالهوى ، وفي مقدمتهم الدكتور كرنيليوس فانديك الشهير ، ذي الذكر الحميد ، وكان هذان الشيخان الكبيران يعقوب صروف وفارس نمر من تلاميذه في الرعيل الاول من حلبة العهد الاول لهذه المدرسة ، فتخرجا فيها عاشقين للعلم يتجلى في معارض اللغة العربية وحللها ، واللغة العربية تكون مجلى للعلوم العصرية وفنونها ، فاشتغلا زمناً بالتعليم على هذه الطريقة في المدرسة ، ثم بدا لمؤسسي المدرسة فتحولوا عن النهج الاول ، وجعلوا تعليم العلوم والفنون فيها باللغة الانكليزية فخرج الاستاذان البارعان منها ، وعولا على خدمة العلم باللغة العربية وخدمة للغة العربية بالعلم بإنشاء مجلة لذلك فأنشئا مجلة المقتطف في بيروت وبعد بضع سنين انتقلا بها الى مصر حيث مجال العلم اوسع ، وبضاعة الفنون أروج ، وقيمة العاملين أرفع

ولو عارض أولو العلم بهذه اللغة عبارة المقتطف فيما كان يقتبسه من المجلات والكتب الانكليزية في كل علم وفن بعبارة غيره من المترجمين الذين تلقوا تلك العلوم والفنون باللغات الاجنبية لحكموا للمقتطف بأن أثره في نهضة اللغة العربية بالعلم أفضل الآثار وأمثلها ، فان العربي الذي يقرأ المقتطف يفهم كل ما يقرأه الا ما يجهله من الاصطلاحات وبعض الاسماء الاعجمية ، ولا يشعر بأنه يقرأ كلاما مترجماً

واذا كان القارىء من علماء هذه اللغة يعرف قدر الجهد الذي بذل في كل باب من أبواب المقتطف لابراز ما يتجدد من مسائل العلوم الكونية والاجتماعية والطبية والاقتصادية وفي الصناعة والزراعة والتجارة بعبارة عربية في الزمن الذي هجرت فيه أكثر مفردات اللغة ، ونسيت المصطلحات التي وضعها سلفنا في نهضتهم العربية السابقة ، على قصورها عن اداء معشار ما تجدد في هذا العصر

كان محرر المقتطف يقف عند الكلمة الاعجمية المفردة وقفة قصيرة أو طويلة يبحث فيها عن كلمة عربية [illegible] ولاسيما قبل طبع المخصص – ومفردات ابن البيطار وقانون ابن سينا وكتاب الحيوان للجاحظ أو للدميري وغيرها. ولو أن الدكتور صروف جمع ما سبق إلى استعماله من الالفاظ التي كانت مهجورة فوصل شملها بما يناسبها ومن المصطلحات الجديدة لبلغت سفراً كبيراً ، على أن الاصطلاحات الجديدة التي تعلمها منشئا المقتطف بالعربية في المدرسة كانت يسيرة لاغناء فيها

ينتقد بعض علمائنا الغيورين على اللغة تساهل المقتطف في التعريب وكثرة استعماله المفردات الاعجمية التي يسهل وجود ما يحل محلها من اللغة بالترادف أو التجوز او الترجمة أو وضع جديد يشتهر بالاستعمال ، وهذا مذهب لا يمكن لفرد من العلماء أن ينهض به ، بل يتوقف على مجمع لغوي علمي دائم ينهض به ، وهذا عمل كبير لا ينهض به فرد ولا افراد ، وقد ذكر في الحفلة التي أقامها صديقنا المرحوم اسماعيل بك عاصم لصاحبي المقتطف احتفاء بمضي أربعين سنة من حياته وحضرها بعض كبار الوزراء والعلماء وأصحاب المجلات ، سعينا مع بعض من حضر تلك الحفلة الى انشاء المجمع وأنشىء بالفعل وكان صاحبا المقتطف من أعضائه العاملين ، ثم كانت احداث سنة ١٩١٩ سببا لتوقيفه ، ثم تجدد السعي لاعادته ، والظاهر انه لن يتم ذلك الا بمساعدة الحكومة

رجال العلم على احيائه ، فنسأل الله تعالى أن يوفقنا لذلك . وحسب المقتطف حسن أثر في نهضة اللغة العربية بأمل بضع وستون مجلداً كتبت بهذه اللغة تخلد لكاتبيها الفخر ، وتنطق ألسنة المنصفين بالشكر ، وما من حسن من أعمال البشر إلا وفي الامكان أحسن منه ، لان استعداد هذا النوع لا غاية له ولا حد ، وقد قال معلم الخير عليه الصلاة والسلام « من لم يشكر الناس لم يشكر الله »

العرب وجزيرتهم

(بين الامامين يحيى بن حميد الدين وعبدالعزيز آل سعود)

(وخطر الاستعمار الاوربي)

لايزال العرب أوسع أمم الارض أوطانا ، ومن أكثرها حصى وتعداداً ، فهم زهاء مائة مليون نسمة منتشرين في الشطر الشمالي من افريقية ، والشطر الغربي من آسية ، ولكن لم يبق لهم من الاستقلال المطلق الذي لا سيادة للأوربيين فيه ، ولا سيطرة لهم عليه إلا مهدهم الاول من جزيرتهم وهو اليمن وتهامة والحجاز ونجد، وقد حل زمن تصدي المستعمرين للقضاء عليه بيديه فالاستيلاء عليه ، وهذا مثار الخوف دون غيره ، فلولا الخوف من الاجانب على هذه البقية لما كنا نئط من أثقال الهم لتعادي أمرائنا وأمتنا فيها، ولا تعدتنا نهم خطر أعليها ، فانه إما أن تبقى به البلاد على حالها ، وإما أن يفوز الاقوى بالانفراد بالسيادة عليها ، وما أحوج هذه الامة النبيلة إلى توحيد حكومتها وسياستها لتجديد قوتها وحضارتها، وليس الجيل العربي هو الجيل الذي انفرد بالتفرق والتمزق بالتعادي على الحكم والرياسة فيصدق من يزعم أنه لا يتحد أو لا تجتمع كلمته مطلقاً أو إلا بدعوة دينية، بل ذلك من طبائع البشر من جميع الاجيال ، فان تعذر اليوم اتحاد العرب عامة أو عرب الجزيرة خاصة بحكومة مركزية، فلا يتعذر اتحادهم بنظام كنظام الوحدة الالمانية ، فمصالحهم تقتضيه ودينهم يقضي به

عرب الجزيرة كلهم مسلمون ، والسواد الاعظم منهم عريق في العربية العدنانية، والقليل منهم يرجعون إلى عروق معروفة أو غير معروفة من غير العرب الخلص

ولكنهم مستمرون، وإنما يختلفون في المذاهب الدينية فالسواد الأعظم منهم سنيون ينتسبون إلى مذاهب الفقهاء الاربعة في الفروع ، وإلى السلف الصالح والاشاعرة في الاصول. وفي اليمن كثير من الزيدية ، وأصولهم الكلامية أصول المعتزلة ، وفي الاحساء بعض الشيعة الامامية ، ويوجد في بعض بلاد اليمن والحجاز جماعات من طوائف أخرى من الشيعة. وفي بلاد عمان كثير من الاباضية ولهم إمام في داخل البلاد ليس عليه من سيطرة الاجنبي ما على سلطان مسقط منهم ، وإنما كلامنا في مستقر القوة ، ومستودع السلطان والسطوة ، ومنبت الارومة ، وهو اليمن وتهامة والحجاز ونجد .

القوة الحربية التي هي سياج الاستقلال منبثة في الجزيرة موزعة في القبائل ولكن ليس لها قيادة عامة إلا في اليمن ونجد ، والقوة الغالبة في اليمن الزيدية الذين يعتصم أكثرهم في الجبال ، ويدين لهم بالطاعة السواد الأعظم وهم من الشافعية طوعا أو كرها ، ويدين كثير منهم للزعيم الادريسي هو الذي نازع إمام الزيدية السيادة في اقليم عسير جباله وتهامته وما اتحد بهما من جنوب تهامة وثغورها وجزائرها

والقوة الغالبة في نجد لأهل السنة و[illegible] ، وكان لأئمتها من آل سعود شركاء فيها ومنازعون فيها خضعوا لهم ثم دانت كلها في هذا العصر لعبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل فزالت إمارة آل الرشيد وكانوا أقوى المشاركين لآل سعود في عقر تلك الديار ، وزال سلطان الترك من السواحل قبل زوالها ، ودانت له هذه البلاد وملحقاتها ، ثم زالت إمارة آل عايض من عسير ثم إمارة الشرفاء آل قتادة من الحرمين بعد ان صارت ملكا مستقلا ، ودانت لابن السعود بلاد الحجاز كلها وقسم من بلاد عسير ، ثم انتهى الامر بدخول إمارة السيد الادريسي في حمايته ، ودانت لسلطانه ، فقربت بذلك المسافة الشاسعة المانعة من الوحدة العربية الحلفية ، ولم يبق إلا وضع نظام يراعى فيه اختلاف مذهبي السنة والزيدية ، ويتقى به الدسائس الاجنبية ، ولكن لم يكد يتم التمهيد لهذا حتى كانت حكومة إيطالية الفاشستية الموسولونية المطمعة الى الاستعمار المتوخية احياء مجد الرومان ، قد عقدت مع الامام يحيى معاهدة صورتها تجارية ، وروحها سياسية يقصد بها استعمار الجزيرة العربية

انحصار استقلال جزيرة العرب في مملكتي الامام يحيى بن حميد الدين صاحب اليمن

العليا والسفلى ، والامام عبد العزيز بن السعود سلطان نجد وملك الحجاز وعسير ، وبتنا نرجو قرب تأويل ما نسعى اليه منذ بضع عشرة سنة من التأليف بينهما ، ومن عقد حلف عربي يحفظ به استقلال الجزيرة ويعود للامة مجدها ، ولكن كثر خوض برقيات السياسة العامة وصحف الشرق والغرب في هذه الايام بامكان تصادمهما ، بل بقرب زحف قوات اليمن على عسير فالحجاز — كثر هذا بعد عقد الامام يحيى الاتفاق مع الدولة الايطالية وما تلاه (على ما قيل) من تولي الضباط الايطاليين لبعض الاعمال العسكرية في جيشه وتدفق أسلحتهم وذخائرهم وكذا دراهمهم ودنانيرهم على بلاده ورجاله وقبائله — وانشائهم لمحطات التلغراف اللاسلكي في الحديدة وصنعاء لا له وحده بل للدولة الايطالية نفسها تخاطب بها مستعمرتها (الارتيرة) المصاقبة لليمن وعاصمتها (رومية) أيضا

فان صحت هذه الانباء وأوقد الامام يحيى في شيخوخته نار الحرب العظمى في جزيرة العرب ([illegible]) فسيكون هو وقومه أول من يحترق بنارها بادخاله لاجنبي دول أوربة الاستعمارية فيها ، ولا يشك أحد من البشر يومئذ في أن هذه الدولة هي التي استخدمته في فتح بلاده لها وتعريضه بقية الجزيرة للاستعمار الاوربي حتى البلاد الحجازية المقدسة وحرم الله تعالى وحرم رسوله ﷺ ، وانما يكون الخطر على الحجاز قريبا اذا اتفقت الدولة الايطالية مع صديقتها الدولة البريطانية على القضاء الاخير على الاسلام لا على العرب وحدهم ، ولا خطر على الحجاز ونجد الا من الدولة البريطانية

قد كان أكبر مناقب الامام يحيى في نظر الامة العربية والعالم الاسلامي كله تلك السياسة السلبية مع الاجانب التي تجلت المرة بعد المرة بفشل الدولة البريطانية وعجزها عن عقد أي اتفاق معه يفتح أدنى منفذ لتدخل نفوذها السياسي أو الاقتصادي في بلاده . وقد كان أكبر ذنوب السيد محمد علي الادريسي الكبير في نظره ما كان من موادة هذا للدولة الايطالية واستفادته من سلاحها في أثناء قتال الترك له

ولما بدأ صاحب هذه المجلة بدعوة أمراء الجزيرة العربية وأئمتها للتآلف والتحالف على حفظ بلادهم من التدخل الاجنبي وتقويتها وترقيتها سنة ١٣٣٠

(الموافقة ١٩١١ م) كان الامام يحيى حميد الدين أول من أجابه منهم باستعداده للاتفاق والتعاون مع اخوانه أمراء الجزيرة إلا أنه استثنى جاره بالجنب السيد الادريسي واحتج على عدم امكان الاتفاق معه وإطفاء ما كان بينهما من نار الحرب بأنه «حالف أعداء الله الطاليان» — بهذا الضبط — وكان يرى أن هذا العمل لا يبيحه الشرع ولا يتفق مع مصلحة العرب . هذا وان السيد الادريسي رحمه الله تعالى لم يعقد معهم محالفة سياسية ولا أعطاهم في بلاده شيئا من الحقوق الاقتصادية

لولا مطامع إيطالية في اليمن المعروفة لجميع المشتغلين بالسياسة ، ولولا ما يتحدث به كبار رجال السياسة في أوربة من قرب نيل مطامعها — ولولا اهتمام صحف الشرق والغرب فيها — ولولا مذاكرة الدولة البريطانية للدولة الايطالية ومفاوضتها اياها للاتفاق على مصالحهما الاقتصادية وكذا السياسة والحربية في اليمن والبحر الاحمر — ولولا ما بذلت إيطالية وما تبذل في هذه السبيل — لولا هذا وغيره مما لا نقوله الآن [illegible] الامام مع ايطالية لاخوف منه ، وإن هذه المعاهدة الايطالية [illegible] تبعده عن المطامع السياسية وإغراء الشقاق وايقاد نار الحرب في الجزيرة العربية ، لا جل تمهيد بل تعبيد الطريق للمقاصد الاستعمارية ، على ما في المادة الثالثة من تقييده الحكومة اليمنية نفسها بجلب الرجال الفنيين من الحكومة الايطالية

فان وقع القتال فعلا وكانت زحوف اليمن المتوكلية هي البادئة به علمنا علم اليقين أن أمر الامام وجيشه قد صار آلة بيد المستعمرين الطامعين للقضاء على الامة العربية وعلى جزيرتها المقدسة ومهد دينها ، حاشاه الله وبرأه من ذلك

إن الذي عرفناه من أخلاق الامام الجليل أنه على ما أوتي من شجاعة النفس ، وشدة البأس ، رؤوف سلمي يكره الحرب ، وينظر اليها بعين الشرع ، لا بعين الطامع والجشع ، فيعدها من الضرورات ، لا من الضروريات ، والضرورات تقدر في الشرع بقدرها ، وهو مع ذلك رجل اقتصاد يقدر نفقاتها عند ما يوازن بين خيرها وشرها ، وما يرجى لبلاده من خيرها ويخشى عليها من شرها ، ولولا هذا لما صبر على البيت الادريسي الى هذا اليوم ، ولا سيما بعد وفاة السيد محمد علي

مؤسس هذه الامارة لهم . ولولا أن هذا كان يعلم أن قوة الامام يحيى تفوق قوته لما التجأ الى ابن السعود ونزل له عن منطقة أبها من عسير العليا ، ثم لما رضي خلفه السيد حسن في هذا العام بأن تكون امارتهم كلها تحت سيادته . وفي ظل حمايته ، فكيف يعقل أن يتصدى هذا الامام السلفي الاسلامي الاقتصادي لقتال ابن السعود بعد أن آتاه الله تعالى هذا الملك العظيم الممتد من حدود اليمن الى حدود الشام ، ومن البحر الاحمر الى خليج فارس ، وله فيه السلطان الذي لا ينازع ، والامر الذي لا يرد ؟

لقد استولى هذا السلطان على منطقة أبها المجاورة لليمن ولم ينازعه الامام يحيى فيها بالسيف والسنان ، ولا بالقلم أو اللسان ، ولقد قتل الجند النجدي هنالك — مع الاسف — جماً غفيراً من اليمانيين — خطأ — ولم يتخذ الامام الحكيم الرشيد ذلك ذريعة لقتال النجديين ، ولا حجة على وجوب اخراجهم من تلك المنطقة من عسير ، — ولقد استغاثه الشريف علي بن حسين أيام كان محصوراً في جدة على السلطان عبد العزيز بن السعود [illegible] عليه جعل الحجاز تحت سيادته ، وتابعاً لمملكته ، وأن يكون هو [illegible] من عماله ، فأبى الامام الحكيم أن يغيثه بالرجال أو المال ، وانما نصح له بما اقتضته الحال من المقال ، وقد كان ابن السعود يومئذ في بؤس وضنك ، يجلب اليه المال والقوت من الاحساء ونجد — فهل يعقل بعد هذا أن يهاجمه الآن ، وماذا يرجو في هذا العدوان ، وما يستلزمه من انفاق بدر الاموال ، وقتل الالوف الكثيرة من الرجال ؟ وان فرض أنه انتصر في ميادين القتال ؟ ما من شيء يمكن أن يناله بهذا النصر غير المضمون الا وقد كان أيسر منالا من قبل ، وقد رجح الامام بعقله وحكمته الزهد فيه ، وعدم سفك دماء المسلمين لأجله ، بل كان عرض عليه التصدي لانقاذ الحجاز من الحاد الملك حسين وإفساده فيه بالاستقلال أو الاشتراك مع سلطان نجد فأبى ، بل وضع له مشروع لدعوة الخلافة الاسلامية العامة فلم تستشرف نفسه له ، قناعة بما أعطاه الله من ملك اليمن ، الا أنه يطمع في شيء واحد هو الاستيلاء على اليمن وتهامته كلها ولكن بما يمكن من الاقتصاد في الدماء والمال ، ويقال انه يدعي ان عسير منها ، وقد علمنا سيرته المعتدلة فيها لهذا كله قلنا انه ان صدق مايقال من عزمه على القتال ووقع ذلك بالفعل

فلن يجد له أحداً تعليلا الا استيلاء الاجانب على لبه وتسخيرهم له بشر مما سخروا أمثاله من قبله ، وإنا لنجله ونربأ بدينه وعقله أن يكون كذلك

ثم اننا نعلم أن هنالك سعاية ودعاية من طريق آخر لاغراء العداوة بين الامامين ، واضرام نار القتال بين الفريقين ، وهي طريق عصبية التشيع والرفض وقد بثت هذه الدعاية أولا في جزائر الهند الشرقية الهولندية والبريطانية ثم في العراق وايران ، ثم في مصر والهند - أما بين الشيعة فلجعل الحجاز تحت سيادة امام شيعي من آل البيت - وما ثم الا الامام يحيى - وأما بين أهل السنة فلاخراج الوهابية من الحجاز . وهؤلاء الدعاة هم الذين أكثروا اللغط في هذا العام بقوة الامام يحيى وكثرة جيوشه وبذم الوهابيين والطعن فيهم . وكانت خطتهم تحويل الامام يحيى عما يعهدون فيه من حب السلم والاقتصاد [illegible] مسلمي مصر والهند وجاوه ومع أهل العراق وايران على مطالبته بقتال ابن السعود وإخراجه من الحجاز واعانته على ذلك بالمال ، وقد سمعت [illegible] هؤلاء الدعاة الذين يراسلهم الامام ويراسلونه بمصر [illegible] في بعض الوجوه ان الامام قد استكمل أهبته الحربية لذلك وانما ينتظر مطالبة العالم الاسلامي له باخراج ابن السعود وقومه من الحجاز ، وان ذلك لينتظر في أقرب وقت ! !

وأما الذي أعلمه انا فهو أن المراسلات الودية بين الامامين متصلة وقد التقيت وفد اليمن المؤتمر الاسلامي في مكة وغيرها من أماكن الحجاز وتعاونا على توثيق عرى الصداقة بين الامامين ، وصرح لي الملك عبد العزيز بأنه بلغ السيد حسين عبد القادر رئيس هذا الوفد بأنه مستعد للاتفاق مع الامام يحيى على كل مايصون بلادهما ويرفع شأنها حتى اذا أحب عقد معاهدة عسكرية هجومية دفاعية فانه لا يأبى ذلك . ولكن هذا السيد لم يكن مفوضا اليه مثل هذا ، وقد كاشفني بأن أهم ما يهم الامام مسألة الادريسي لا طمعا في إمارته بل لئلا يعقد مع الاجانب ما يفضي الى تدخلهم في شؤون البلاد - والحق معه في هذا كما صرحت بهذا للملك عبد العزيز . وهذه المعاهدة الاخيرة سلبت من السيد الادريسي هذا الحق وحق التعدي على حدود اليمن ولكن بعد ان أمضى لشركة بريطانية امتياز اعطها في استخراج زيت البترول

من جزائر فرساي التي تعد بالعشرات ، وهي جناية يجب السعي لإبطالها اذا أمكن. وأرى انه يحسن السعي الآن لعقد محالفة بين الامامين ينص فيها على حفظ الحال الحاضرة وبقاء منطقة الادريسي شقة حياد لا يعتدي عليها أحدهما بشروط مرضية لهما . ومن يأبى ذلك منهما أو يبدأ الآخر بالعدوان ، فهو الجاني على العرب والاسلام .

﴿ نص المعاهدة الايطالية اليمانية ﴾

مادة (١) تعترف حكومة جلالة ملك ايطاليا باستقلال حكومة اليمن وملكها جلالة الامام يحيى الاستقلال المطلق الكامل ومع هذا فلا تتداخل حكومة ايطاليا المشار اليها في مملكة جلالة ملك اليمن الامام بأي أمر من الأمور التي تناقض ما في الفقرة الأولى من هذه المادة

مادة (٢) تتعهد الدولتان بتسهيل التبادل في التجارة بين بلاديهما

مادة (٣) حكومة جلالة [illegible] ترغب أن تجلب طلباتها من ايطاليا وذلك في [illegible] والآلات الفنية التي تساعد بجلب الفائدة في نمو اقتصاد اليمن ونفعه وكذلك في الأشخاص الفنيين ، والحكومة الايطالية تصرح بأنها تبذل جهدها حتى يصير ارسال الاشخاص والآلات الفنية بأنسب وجه في الأنواع والأثمان والرواتب

مادة (٤) ما ذكر في المادة الثانية والثالثة لا يمنع حرية الطرفين في التجارة والمطلوبات

مادة (٥) ليس لأحد من تجار المملكتين أن يجلب ويتجر فيما تمنعه إحدى الدولتين في بلادها ولكل من الدولتين أن تصادر ما جلب الى بلادها مما تمنع جلبه والتجارة فيه بعد الاشعار

مادة (٦) هذه المعاهدة لا تكون معمولا بها إلا من حين تصل الى جلالة ملك اليمن الامام يحيى مصدقة من جلالة ملك ايطاليا

مادة (٧) تكون هذه المعاهدة جارية ومعمولا بها لمدة عشر سنوات من بعد تصديقها كما في المادة السادسة وقبل انقضاء مدة هذه المعاهدة بستة أشهر اذا أراد الطرفان تبديلها بغيرها أو تمديدها كانت المذاكرة في ذلك

مادة (٨) ولما حرر في هـذه المواد لجلالة ملك اليمن الامام يحيى وسعادة كفاليري غاسباريني بالوكالة عن ملك ايطاليا قد أمضيا هذه المعاهدة المحررة في نسختين متطابقتين باللغة العربية والايطالية ولعدم وجود من يعرف الترجمة عن اللغة الايطالية معرفة تامة لدى جلالة ملك اليمن ولأن المفاوضة التي تمت بين الطرفين بعقد المعاهدة الودية التجارية كان التفاهم فيها باللغة العربية ولأن سعادة كفاليري غاسباريني قد تأكد أن النص العربي هو مطابق للنص الايطالي تماما .

لذلك اتفقا بأنه اذا نشأت شكوك أو اختلاف في تفسير النصين العربي والايطالي فالطرفان يعتمدان النص العربي وتفسيره بأصول اللغة العربية واعتبار هذا شرطا

اتفاقية مكة المكرمة

(بين ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها وبين السيد الحسن بن علي الادريسي)

رغبة في توحيد الكلمة وحفظ كيان البلاد العربية وتقوية الروابط بين أمراء جزيرة العرب فقد اتفق صاحب الجلالة ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل السعود ، وصاحب السيادة امام عسير السيد الحسن بن علي الادريسي على عقد الاتفاقية الآتية .

(المادة الأولى) يعترف سيادة الامام السيد الحسن بن علي الادريسي بأن الحدود القديمة الموضحة في اتفاقية ١٠ صفر سنة ١٣٣٩ المنعقدة بين سلطان نجد وبين الامام السيد محمد بن علي الادريسي والتي كانت خاضعة للأدارسة في ذلك التاريخ تحت سيادة جلالة ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها بموجب هذه الاتفاقية .

(المادة الثانية) لايجوز لامام عسير أن يدخل في مفاوضات سياسية مع أي حكومة ، وكذلك لايجوز أن يمنح أي امتياز اقتصادي إلا بعد الموافقة على ذلك من صاحب الجلالة ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها

(المادة الثالثة) لايجوز لامام عسير اشهار الحرب أو ابرام الصلح إلا بموافقة صاحب الجلالة ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها

(المادة الرابعة) لايجوز لامام عسير التنازل عن جزء من أراضي عسير المبينة في المادة الاولى

(المادة الخامسة) يعترف ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها بحاكمية امام عسير الحالي على الأراضي المبينة في المادة الاولى مدة حياته ومن بعده لمن يتفق عليه الأدارسة وأهل العقد والحل التابعين لامامته

(المادة السادسة) يعترف ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها بأن ادارة بلاد عسير الداخلية والنظر في شؤون عشائرها من نصب وعزل وغير ذلك من الشؤون الداخلية من حقوق امام عسير على أن تكون الاحكام وفق الشرع والعدل كما هي في الحكومتين

(المادة السابعة) يتعهد ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها بدفع كل تعد داخلي أو خارجي يقع على أراضي عسير المبينة في المادة الاولى وذلك بالاتفاق بين الطرفين حسب مقتضيات الاحوال ودواعي المصلحة

(المادة ٨) يتعهد الطرفان بالمحافظة على هذه المعاهدة والقيام بواجبها .

(المادة ٩) تكون هذه المعاهدة معمولا بها بعد التصديق عليها من الطرفين الساميين

(المادة ١٠) حررت هذه الاتفاقية باللغة العربية من صورتين تحفظ كل صورة لدى فريق من الحكومتين المتعاقدتين

(المادة ١١) تعرف هذه المعاهدة بمعاهدة مكة المكرمة

وقعت هذه المعاهدة في تاريخ ١٤ ربيع الآخر سنة ١٣٤٥ الموافق ٢١ أكتوبر سنة ١٩٢٦

(الختم الملكي) ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها

عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود

(الختم الرسمي) امام عسير : الحسن بن علي الادريسي

تم ذلك بحضور راقم هذه الاحرف خادم الاسلام أحمد الشريف السنوسي (الختم)

خاتمة المجلد السابع والعشرين

باسم الله وبحمده نختم المجلد السابع والعشرين من المنار كما افتتحناه بهما ، ونقفي تاليهما هنا بما قفينا به هناك من الصلاة والسلام على خاتم النبيين ، وسيد ولد آدم أجمعين محمد النبي الأمي الذي أرسله الله رحمة للعالمين ، وآله وصحبه الهادين المهديين ، وقد تم لنا في أثناء نشر هذا المجلد ما وعدنا به القراء من تجديد

المطبعة وادارتها بقوة الكهرباء ، وإصدار أجزاء المنار في كل شهر على ماعرض لنا من السفر إلى الحجاز وانحراف الصحة فيه والاشتغال بالمؤتمر الاسلامي العام بمكة المكرمة واقتضاء ذلك غيبة زهاء أربعة أشهر عن مصر ، وقد وفينا ولله الحمد بما وعدنا به من خدمة الملة والأمة ، ومجاهدة الملاحدة والزنادقة والمبتدعة ، والقيام بدعاية الاصلاح والتجديد الاسلامي على قواعد الكتاب والسنة . وأما مسألة الاعتماد في عزة الأمة على فنون العصر العملية فقد مهدنا السبيل لها بالسعي المرجو فيها ، والتأليف والتعاون بين شعوبها ، وما نحن من الذين يعملون لأجل الفخر والمباهاة فيعلنون ما لاحاجة الى اعلانه ، وبيان ما لاتتوقف المصلحة على بيانه

وقد بينا ما انتقد به على المنار في هذه المدة وماقبلها حتى انتقد علينا بعض القراء ما لافائدة في نشره منه . وإننا على ثباتنا على دعوة أهل العلم والرأي الى انتقاد ما يرونه منتقداً في المنار ، نذكرهم بما يجب فيه من الايجاز والاختصار ، وأن يتحروا فيه الفائدة لا [illegible] المعهود الذي يؤدي الى ضد ما يتمنون ، إذا كان كلامهم على غير ما يودون ، ولعل من الصواب أن نكتم أسماء المنتقدين ، وأن نحذف من كلامهم ما لا يتعلق بجوهر النقد من القيل والقال أو اعادة نشر ما ينتقدونه من كلامنا بحروفه ، اكتفاء بالاشارة الى مراجعته في موضعه ، وفي هذه الحالة تكون حريتنا أوسع في بيان مايظهر لنا من خطل المنتقد فنسمي الكذب كذبا والجهل جهلا ان اقتضت الحال ذلك . وسيكون من مواد المجلد الثامن والعشرين رحلة الحجاز والكلام فيها على المؤتمر الاسلامي العام ، والادارة السعودية في الحجاز ، ومسألة أمير الحج المصري معها وفي ذلك من الحقائق ما يهم العالم الاسلامي كله مما لم ينشر في الجرائد العربية ولا غيرها

وسيكون منها تأثير دعوة الاصلاح الاسلامي في المغرب الاقصى ومسألة ترجل النساء وتهتكهن واشتغالهن بالسياسة والامور العامة — ومسألة الازهر والبرلمان في مصر ، وانشاء باب لمختارات الصحف النافعة من اجتماعية وسياسية وأدبية وعلمية وغير ذلك من المباحث الاصلاحية المقصودة بالذات . وعسى أن يساعدنا القراء على ذلك بدفع قيمة الاشتراك سنة بسنة . والله الموفق وله الحمد في البدء والختام